فقه اللغة

تأليف

دكتور عبد الحميد محمد أبو سكين
أستاذ مساعد فى كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر

١٤٣٦هـ _ ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أكرم خلقه وصفوة أنبيائه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعه وعمل بسنته إلى يوم الدين.

وبعد

فهذه دراسة تحليلية وصفية لبعض القضايا اللغوية تمهد الطريق أمام الدارسين فى هذا المجال الذى يتطلب جهود العلماء والباحثين من طلاب العلم حتى نلحق بمن سبقنا من أبناء شعوب العالم وبخاصة فى الدراسات الصوتية، والسلالات اللغوية، وتفرع اللغات إلى لهجات، ورد اللهجات إلى أصلها وعلاقتها بأخواتها وما إلى ذلك.

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة القرآن الكريم؟

د. عبد الحميد أبو سكين

الأستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية

جامعة الأزهر — بالقاهرة

٧ من شعبان سنة ١٤٠١هـ

٩ من يونيو سنة ١٩٨١م

الفصل الأول

فقه اللغـــة

بين علم اللغة وفقه اللغة

يجدر بنا أن نقف على حقيقة هذه التسمية وهذا المصطلح « علم اللغة » وهل هو علم اللغة أو فقه اللغة ؟

والدافع لهذا التساؤل أننا نجد أنفسنا بين عدد كبير من الكتب اللغوية الحديثة تحمل أحد هذين المصطلحين فهذا فقه اللغة ، وذاك علم اللغة مما يوقع الباحث الناشىء فى حيرة ودهشة .

والباحثون منقسمون بين هذه التسمية وتلك .

فلقد ذهب البعض إلى القول بأنه يصعب تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة ، ومصطلح فقه اللغة لأن أغلب مباحثهما متداخلة لدى طائفة كبيرة من علماء الشرق والغرب قديما وحديثا (١)

ولقد أدى هذا التداخل إلى إطلاق كل من هذين المصطلحين على الآخر .

وذهب فريق آخر إلى القول بأن علم اللغة أعم وفقه اللغة أخص بمعنى أن فروع فقه اللغة داخلة ضمن فروع علم اللغة والذى يشمل هذه الفروع ويزيد عليها (٢)

---

(١) دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ص ٣

(٢) دراسات فى علم اللغة للدكتور كمال محمد بشر ص ٤٤

ونرى أن مصطلح « علم اللغة » يرادف مصطلح فقه اللغة لأنه من الصعب تحديد الفروق الدقيقة بينهما كما ذهب أصحاب الفريق الأول .

وهذا فى نظرى أقرب إلى الصواب حتى لا يقع الباحث فى حيرة من الأمر .

ومما تجدر الإشارة إليه أن من أصحاب مصطلح « علم اللغة » المرحوم الدكتور محمود السعران فهو يصر على عدم إطلاق مصطلح « فقه اللغة » لأنه أطلق فى القديم والحديث على مباحث ليست من علم اللغة الحديث فى شىء .

وأما أصحاب فقه اللغة فيرون أن مصطلحهم أحسن وأصح لأن هذا المصطلح شاع عند العرب حين ألفوا فى الموضوعات التى تدخل تحت هذه التسمية ولأن كل علم لشىء فهو فقه له فما أجدر هذه الدراسات جميعا أن تسمى فقها [1]

والرأى الذى ذهبت إليه وهو أن بين هذين المصطلحين ترادفا ذهب إليه بعض العلماء على رأسهم الدكتور على عبد الواحد فى كتابيه علم اللغة وفقه اللغة ، وخصص الأول لدراسة اللغة عامة ، والثانى لدراسة اللغة العربية وحدها ، كما قال بهذا الرأى أيضا الأستاذ محمد المبارك فى كتابه « فقه اللغة وخصائص العربية »[2]

إذن فما فقه اللغة : « هو منهج للبحث استقرائى وصفى يعرف به

---

(١) انظر كتابه علم اللغة مقدمة للقارىء العربى ص ٢٢

(٢) دراسات فى فقه اللغة د. صبحى الصالح ص ٢٠ بتصرف

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٣٩

أصل اللغة التى يراد درسها ، وموطنها الأول ، وفصيلتها ، وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة ، الشقيقة أو الأجنبية ، وخصائصها وعيوبها ولهجاتها ، وأصواتها ، وتطور دلالاتها ، ومدى نمائها قراءة وكتابة»[1]

مباحث فقه اللغة

تتألف اللغة من عناصر متباينة وأغراض دراستها متنوعة لهذا وجدنا أن مباحث فقه اللغة كثيرة ومتعددة وترجع أهم هذه المباحث إلى الموضوعات التالية :

١ — الكلام على أصل اللغة الإنسانية الأولى وكيف نشأت؟

أبطريق التوقيف والإلهام نشأت اللغة أم بطريق المواضعة والاصطلاح أم بطريق المحاكاة والتقليد أم بغير ذلك مما سنتحدث عنه فيما يعد بالتفصيل إن شاء الله تعالى ويشمل هذا المبحث أيضا القول بأن بعض اللغات أفضل أو أفصح أو أغنى من بعض وغير ذلك من الأمور التى تعالج اللغة فى أدوار نشأتها الأولى وهى أمور فلسفية لأنها تعتمد على التخمين والظن فهى مسائل غيبية أو ظنية .

حتى أن جل الباحثين اللغويين من المحدثين أسقطوها من الحسبان نهائيا ولم يعيروا هذا المبحث أى اهتمام أو التفات حتى أن الجمعية اللغوية بباريس قررت عدم مناقشة أى بحث لها فى هذا الموضوع[1]

٢ — المبحث الثانى . يتعلق بحياة اللغة وما طرأ عليها من غنى أو فقر وسعة أو ضيق وعظمة أو ضعة وتفرعها إلى لهجات وأسباب هذا

---

(١) دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح ص ٦

(٢) قضايا لغوية دكتور كمال بشر ص ١١٢

التفرع والتنوع والمستويات اللغوية : لغة متركة أو فصحى وعامية ، والصواب والخطأ فى اللغة والبيئة اللغوية ومصادر المادة وما يتعلق بها من حيث الزمان والمكان .

إلا أن أهم فرع فى هذا المبحث تفرع اللغة العربية إلى لهجات أو ما يسمى بعلم اللهجات « الديالیكتولوجى » وهو الذى يبحث تفرع اللغة إلى لهجاتها المختلفة ، وعوامل هذا التفرع وعلاقة الفرع بالأصل وكيف يمكن توحد اللهجات فى لغة واحدة مشتركة أو عامة وهل يمكن ذلك أولا وغير ذلك :

٣ — دراسة الأصوات التى تكون الألفاظ اللغوية : ويسميه المحدثون من العرب باسم علم الأصوات ، وكان القدماء يطلقون عليه « علم التجويد »

وهذا المبحث يدرس أصوات اللغة من زوايا عديدة فيعرض لها من ناحية النطق وما يرتبط بذلك من سمات صوتية دون النظر إلى وظائفها أو قيمتها اللغوية فى الكلمات التى تتألف منها وهذا ما يسمى بالخواص العامة للاصوات دون التعرض لمميزاتها الخاصة التى ترتبط بمعانيها فى اللغة اللفظية وهو ما يعرف بالفونانيكس .

أما إذا كانت الدراسة للأصوات من ناحية قيمها ووظائفها فى اللغة المعينة فيطلق عليها علم الأصوات التنظيمى أو علم وظائف الأصوات وهو ما يسمى بالفنولوجى . ويجدر أن نشير إلى فروع القسم الأول الفوناتكس .

(أ) إذا كانت الدراسة الصوتية فى لغة ما من اللغات الغرض منها

بيان الحقائق الصوتية موجهة للمخارج والصفات وكيفية النطق وأثر بعضها فى بعض وما يعرض لها من تبدلات ، ثم دراسة أعضاء النطق المختلفة فكل هذا يسمى بعلم الأصوات الوصفى .

(ب) وإذا كانت الدراسة الصوتية فى لغة ما فى فترة طويلة من الزمان وكان الغرض منها تتبع الأصوات لغرض الوقوف على ما أصاب هذه الأصوات من تطور وتبدل ومعرفة القوانين التى خضعت لها فى هذا التطور فيسمى هذا النوع « علم الأصوات التاريخى »

(جـ) وأما إذا كانت الدراسة خاصة بلغتين لمقارنة أصواتهما وكشف وجوه الشبه والاتفاق أو أوجه الخلاف بينهما سمى « علم الأصوات المقارن »

(د) وإذا كانت الدراسة الصوتية عامة لكل اللغات لغرض الوقوف على حقيقة الأصوات اللغوية وما يتحكم فيها من قوانين عامة تخضع لها فى تطورها وتغيرها فتسمى هذه الدراسة الصوتية « علم الأصوات العام »

وكما تفرع هذا القسم إلى هذه الفروع فكذلك القسم الثانى وهو الفنولوجى يتفرع إلى أربعة فروع أو أربعة مباحث هى :

(أ) الفنولوجيا الوصفية .

(ب) الفنولوجيا التاريخية .

(جـ) الفنولوجيا المقارنة .

(د) الفنولوجيا العامة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مباحث الفوناتيك والفنولوجيا متداخلة

تداخلا شديدا بحيث يصعب على المرء فى بعض الأحيان الفصل بينهما أو التمييز بين بعضها مما جعلنا نعنون لها بالدراسة على حين ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن الفونتاتيك فرع والفنولوجيا فرع آخر ولكن بينهما علاقة قوية ورابطة وثيقة .

٤ — دراسة اللغة من حيث المعنى وهو ما يسمى بعلم المعنى السيمانتيك ويطلق عليه عندنا فى علم اللغة العربية علم الدلالة ومهمة هذا العلم البحث فى المعانى ومشكلاتها والعلاقة بين الكلمة والمعنى وتبدل المعنى وطرقه وقوانينه وأسبابه وحياة الكلمات والمراحل التى تمر بها من ولادة ونشأة وشباب وشيخوخة وموت ، غير أن البعض يحدد مهمة هذا العلم بالبحث فى معانى الألفاظ المفردة على مستوى المعاجم والبعض الآخر يوسع دائرة اختصاص هذا العلم بحيث يتناول النظر فى معانى المفردات والجمل والعبارات جميعا دون تفريق . وهناك فريق ثالث يرى أن علم المعنى فرع له وظيفة خاصة وهى البحث فى المعنى حقيقة لكن على أساس أن ما يوضحه فى هذا الشأن إنما هو جزء واحد من المعنى الكلى .

فعلم المعنى عند هذا الفريق هو جزء من كل أى جزء من علم اللغة بخلاف الفريقين الأولين .

٥ — علم النظم « السنتكس »

وأغلب مباحث هذا العلم شبيهة بعلم النحو المعروف لنا فهو يهتم ببناء الجملة والأشكال التى تأخذها العبارة فى اللغة ويبحث أيضا فى أشكال الجمل من شرطية وخبرية واستفهامية وموجبة ومنفية وتعجبية . . . الخ

وينقسم هذا العلم إلى أربعة أقسام : وصفى وتاريخى ومقارن وعام كما مر بنا فى الفوناتيك .

٦ — علم الأساليب « الستيلستيك »

وهذا العلم يبحث فى أساليب اللغة واختلافها باختلاف فنونها من شعر ونثر وخطابة ومحادثة وكتابة ومسرح وقصة ومناظرة . . الخ ، واختلاف ذلك باختلاف العصور والأمم الناطقة بها والمسالك التى تتبعها فى تطورها والعوامل التى تؤثر فيها والقوانين الخاضعة لها .

وينقسم هذا العلم إلى أربعة أقسام :

(أ) دراسة وصفية	(ب) دراسة تاريخية
(جـ) دراسة مقارنة	(د) دراسة عامة

وإذا كانت الدراسة فى لغة ما متشعبة الأساليب المختلفة فى فترة طويلة من الزمان ، وكان الغرض من ذلك ما أصاب هذه من تطور وتغير والكشف عن القوانين التى خضعت لها الأساليب فى تطورها وتغيرها كانت هذه الدراسة تاريخية وأما إذا كانت فى لغتين أو أكثر بحيث تتناول مختلف الأساليب فى كل وكان الغرض من ذلك الوقوف على ما بين اللسانين من وجوه الشبه والاتفاق فى الأساليب والكشف عما بينها من صلات كانت الدراسة مقارنة .

وإذا كانت الدراسة عامة فى كل اللغات وكان الغرض من هذه الدراسة الوقوف على ما بين اللسانين من وجوه الشبه والاتفاق فى الأساليب والكشف عما بينها من صلات كانت الدراسة مقارنة .

وإذا كانت الدراسة عامة فى كل اللغات وكان الغرض من هذه الدراسة

الوقوف على حقيقة الأساليب المختلفة والكشف عن القوانين العامة كانت الدراسة عامة .

٧ — البحث فى الأصول التى جاءت منها الكلمات فى لغة من اللغات ويطلق على هذا البحث « الايتيمولوجيا » أى البحث فى الأصول وهذا البحث يتناول أمورا جزئية فهو يبحث عن الأصول التى جاءت منها الكلمات فى كل لغة على حدة . وليس الغرض من وراء هذه الدراسة الكشف عن القوانين العامة .

ومن أهم شعب هذا البحث — البحث فى أصول الأعلام — بجميع أقسامها سواء أكانت شخصية أم أعلاما لقبائل وعشائر أم لجبال وأنهار وأمصار ... الخ وهو ما يسمى بـ « الأونوماستيك » .

٨ — بحوث اجتماعية :

ويشمل أيضا فقه اللغة ضمن مباحثه البحوث الاجتماعية والتى تهدف إلى بيان العلاقة بين اللغة والمجتمع فى اللغة بما يشمل من حضارة ونظم وبيئة جغرافية ومناخية ، فالمجتمع الزراعى غير المجتمع الصناعى ، والمجتمع الذى يعيش على السواحل غير المجتمع الذي يعيش فى الصحراء فلكل نظام وتقاليد وعادات تؤثر تأثيرا مختلفا فى مختلف الظواهر اللغوية .

ولذا أنشأ علماء الاجتماع ما أسموه « علم الاجتماع اللغوى » .

٩ — بحوث نفسية تبين العلاقة بين الظواهر اللغوية المختلفة والظواهر النفسية من تفكير وخيال وتذكر .. الخ فنفسية الشعوب ليست واحدة فهذا مجتمع يعيش فى بيئة مستقرة اقتصاديا وذلك يعيش فى

بيئة غير مستقرة مما يؤثر فى نفسية هذا الشعب وبالتالى تؤثرهذه الظواهر النفسية على الظواهر اللغوية المختلفة .

لذا وجدنا علماء النفس يولون هذه المسائل عناية خاصة وأنشأوا ما أسموه « علم النفس اللغوى » .

تلك هى مباحث فقة اللغة وليس يخاف عليك بعد هذا العرض أن فقه اللغة الوصفى هو جملة ماسر من فروع فقه اللغة الوصفى .

فإذا كانت الدراسة مثلا للأصوات والمفردات والتراكيب فى لغة معينة أى لغة وفى فترة محددة من الزمن وكانت الدراسة وصفية هدفها الكشف عن الحقائق اللغوية فى هذه اللغة سمى هذا العلم فقه اللغة الوصفى .

وإذا كانت الدراسة للعناصر الثلاثة الآنفة الذكر وهى الأصوات فالمفردات — والتراكيب فى لغة معينة فى خلال فترة زمنية طويلة المدى وكان الغرض من هذه الدراسة الكشف عما طرأ عليها من تبدل وتغير سمى « فقه اللغة التاريخى » .

وبالقياس على ذلك إذا كانت الدراسة للفروع الثلاثة فى أكثر من لغة وكان الغرض الكشف عن وجوه الشبه ووجوه الخلاف سمى ذلك « بفقه اللغة المقارن » وكذلك لايخرج عن القاعدة نفسها « فقه اللغة العام » فهو مجموع العناصر الثلاثة الأصوات والمفردات والتراكيب إذا كانت الدراسة فى أكثر من لغة وكان الغرض الكشف عن وجوه الشبه ووجوه الخلاف ثم الكشف عن القوانين العامة التى تحكم المظاهر اللغوية المختلفة فى كل اللغات التى تم دراستها والتعرض لها .

مقاصد فقه اللغة

يهدف هذا العلم من دراسته للظواهر اللغوية المختلفة والتى سبق أن ذكرناها فى عرضنا السابق إلى مقاصد وصفية أهمها ما يأتى :

١ — معرفة حقيقة الظواهر اللغوية والعناصر التي تتألف منها والأسس التى تقوم عليها .

٢ — وبالتالى بيان الوظائف التى تؤديها فى مختلف مظاهرها وفى جميع المجتمعات الإنسانية فى شتى بقاعها .

٣ — ويترتب على ذلك الوقوف على العلاقات التى تربط بعضها ببعض .

٤ — ثم معرفة أساليب تطوره واختلافها باختلاف الشعوب .

٥ — وفى النهاية معرفة القوانين التى تحكم كل ذلك وهو المقصد الأساسى لبحوث فقه اللغة فهو لا يعرض الظواهر اللغوية والوظائف التى تؤديها ، والعلاقات التى تربطها ببعضها والتطورات التى تعرض لها .. لا يعرض لهـــذا إلا لغرض الكشف عن القوانين التى تحكم كل ذلك .

وعلى هذا الأساس قام فقه اللغة . قصد الباحثون فيه والدارسون إلى كشف القوانين التى تخضع لها الظواهر اللغوية المختلفة .

وقد توصلوا إلى جملة من القوانين منها ما يتعلق بالأصوات ومنها ما يتعلق بالدلالات ومنها ما يتعلق بحياة اللغة ومنها ما يتعلق بوظائفها ،

بعضها خاص بلغة معينة وبعضها يصدق على فصيلة بأكملها وبعضها يصدق على كل فصائل اللغات المختلفة .

وذلك لأن الظواهر اللغوية المختلفة لاتسير وفق إرادة الأفراد والجماعات بل تخضع لقوانين ثابتة تسيرها حسب نواميس الحياة مثلها فى ذلك مثل ماعداها من قوانين الطبيعة والرياضة والكيمياء .

فاذا اخترع لفظ وقذف به فى المجتمع خرج عن إرادة مخترعه وخضع لقوانين ثابتة صارمة تحكمه وتسيره وفق نواميسها واللفظ فى هذه الحالة كالحجر يلقى به المرء فى جهة معينة ، فحينما يكون الحجر فى يد المرء يخضع لإرادته وحينما يقذف به فى اتجاه معين خضع لقوانين أخرى كالجاذبية مثلا ، وليس فى الإمكان التحكم فى هذا الحجر بعد إلقائه وإنما يخضع فى هذه الحالة لقوانين ثابتة معينة لا تحيد عن فعلها ، ومن ثم يتبين لنا خطأ الذين يحاولون إيجاد لغة واحدة مشتركة للعالم أجمع تحل محل العدد الهائل من اللغات المختلفة ، وأطلقوا عليها اسم « اسبرانتو » ذلك لأن . هذه اللغة الصناعية على فرض إمكان اختراعها وإلزام الناس التحدث بها لا تمسك طويلا بعد تداولها على الألسنة إلا أن تخضع فى أصواتها وألفاظها ومعانيها ومراحل نموها وتطورها لجميع القوانين التى تخضع لها اللغات المختلفة الأخرى والتى خضعت لها لغة الإنسان الأول ، فما دام أفراد الأمم الناطقة بها مختلفين فى التكوين الطبيعى لأجسامهم وأعضاء نطقهم وقواهم الإدراكية وغيرها ومادامت سنة الحياة تقضى بأن يختلف كل جيل عن سابقه فى كل هذه النواحى ، فلا بد إذن أن تختلف اللغة

الصناعية فى أصواتها وألفاظها ومعانيها وتراكيبها وأساليبها باختلاف العصور واختلاف الشعوب الناطقة بها .

وهذا أمر طبيعى وسنة من سنن التطور اللغوى إذ أنه بين المظاهر اللغوية الملحوظة أن بقاء الاتحاد أو التشابه فى بعض الأصول اللغوية التى ترجع إلى أصل واحد يتوقف على ما يكون بين الشعوب التى تتكلم بهذه الأصول من صلات وروابط جغرافية أو اجتماعية فذلك الاتحاد أو التشابه حرى بأن يبقى مادامت تلك الشعوب متعاصرة متجاورة لم تفصل بينها حواجز جغرافية ولم تفرق بينها تقاليد أو ظروف اجتماعية أو ثقافية .

أما إذا باعد الزمان أو المكان بين بعضها وبعض أو انعدم ما بينها من صلات اجتماعية أو ثقافية فإنها تصبح لغات ولهجات تشق كل منها طريقها فى الحياة بعيدة عن أختها أو أخواتها وحينئذ يقل ما كان بينها من مظاهر الاتحاد ويضعف ما كان بينها من مظاهر التشابه .

مناهج البحث فى فقه اللغة

يقصد بالمناهج الطريق التى يسلكها العلماء فى تناولهم المظاهر اللغويه والقضايا التى يعالجونها والتى يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض وأهداف ، ولهذا العلم مناهج يشاركه فيها غيره من العلوم الأخرى ومناهج أخرى خاصة به اقتضتها طبيعة مسائله وقضاياه اللغوية وسنتناول أهم هذه المناهج بإيجاز فيما يلى :

أولا : منهج الملاحظة :

ومضمون هذا المنهج أن يراقب الباحث اللغوى ظاهرة لغوية معينة فى ظروف طبيعية للغة أثناء قيامها على وظيفتها ولا يملك الباحث فى مراقبته غير حواسه وقواه العقلية .

ويشترك فقه اللغة فى هذا المنهج عدد كبير من العلوم الأخرى وخاصة العلوم الطبيعية .

ولكى تكون الملاحظة سليمة النتائج تكون كثيرة التنوع بالغة الدقة ما أمكن فنحاة العرب مثلا لم يحكموا على اللغة العربية بأنها ترفع الفاعل وتنصب المفعول وترفع المبتدأ ... الخ لمجرد سماعهم جملة واحدة بل استقرءوا وتتبعوا معظم الكلام الفصيح ثم حكموا باطراد هذه الأمور ووضعوا قواعدهم على ذلك .

ولا يخفى عليك أن هذا فى علم اللغة الوصفى .

أما إذا كان الاستقراء فى مجال علم اللغة العام فانه يلزم علينا أن نستقرىء جميع اللغات لكى نصل إلى القوانين العامة التى تخضع لها جميعا حتى تكون النتيجة صحيحة وسليمة .

ويؤخذ على هذا المنهج أن آلة الملاحظة الوحيدة هى الأذن وهى لا تملك من الدقة ما تملكه من الأجهزة الدقيقة الحساسة فى هذا المجال ، ومن السهل خداع الأذن كما أنها أى الأذن تتأثر بالحالة النفسية للملاحظ ويكثر أن تخدعه فتسمعه ما يريد سماعه لا ما هو حادث بالفعل وفى واقع الأمر .

ثانيا — المنهج الآلى :

وهذا المنهج لا يستخدم إلا فى مجال الصوتيات لأن الصوت هو العنصر الفيزيائى الوحيد فى اللغة الذى يمكن للآلة أن تتدخل فيه قياسا وتسجيلا .

وواضح أن هذا المنهج يستخدم فيه الباحث الآلات لتسجيل الظواهر اللغوية وقياسها .

والذى حمل العلماء اللغويين على استخدام هذا المنهج فى الصوتيات هو الدقة لأن الأذن المجردة لا تستطيع التمييز بين أنواع الصوت المختلفة وخصائصه وإدراك ميزاته وقياس شدته ومدته والعوامل الكثيرة المحيطة بها والتى تجعل مدركاتها عرضة للزلل .

وتستخدم الآلات التى تستخدم فى هذا المنهج إلى نوعين :

(أ) نوع هدفه أن يبين لنا الأعضاء التى تدخل فى إحداث صوت لغوى ما ، وعلى هيئة هذه الأعضاء أثناء النطق ثم على مخرج الصوت الملفوظ .

(ب) ونوع هدفه أن يبين لنا صفات الصوت من حيث المدة والشدة والحدة .

فمن النوع الأول : الحنك الصناعى : وهو آلة شديدة البساطة يستطيع أى طبيب أسنان أن يصنعها من مادة بلاستيك ، وبعد صبها فى الشكل المناسب لحنك الانسان الأعلى ، تخط خطوطا طولية وأخرى عرضية ، وحين استخدامها ينثر فوقها قليل من الحلكك المطحون الناعم ثم تجعل فى فم الانسان ملتصقة بحنكه الأعلى فاذا لفظ الإنسان صوتا ما

كالجيم مثلا التصق لسانه فى نقطة معينة بهذا الحنك الصناعى فأزال من هذه النقطة ما كان قد علق بها من الحبكات المنثور فاذا أخرجنا الحنك من فم الانسان ونظرنا إلى الأثر الذى تركه اللسان فيه أثناء النطق بالجيم عرفنا بدقة بالغة مخرج هذا الحرف .

وأما النوع الثانى : فآلاته على كثرتها تتألف جميعا من ثلاثة أجزاء أساسية هى :

١ — بوق يتلقى الهواء الخارج من فم المتكلم ويوصله إلى طبلة تتأثر بضغط الهواء وذبذبته .

٢ — ثم قلم متصل بهذه الطبلة يتحرك بحركتها .

٣ — ثم اسطوانة مغلفة بورق تدور أثناء العمل ليرسم عليها القلم الذبذبات المنتقلة من الطبلة إليه .

ويؤخذ على هذا المنهج رغم دقة النتائج التى أمكن للعلماء الوصول إليها عن طريقه أن هذا المنهج عاجز عن فحص الظواهر اللغوية فى حالتها الطبيعية ، فالناس لا يتكلمون وفى أفواههم أحناك صناعية ، ولا يتفاهمون وهم يضعون فى أفواههم أبواق أو تحت آلات تصوير .

وهذا الوضع غير الطبيعى فى هذا المنهج حمل كثيرا من العلماء على الشك فى قيم النتائج التى وصلنا إليها .

ثالثا : المنهج التجريبى :

ويعتمد هذا المنهج على تغيير الظروف العادية المحيطة بظاهرة لغوية ما أو المحيطة بالشخص الذى تجرى عليه التجربة أو على خلق هذه الظروف خلقا دون انتظار حدوثها كما يحدث ذلك فى التجارب الطبيعية المختلفة

والتى تجرى فى المعامل على السوائل أو الغازات .

وعلى هذا المنهج تعتمد علوم كثيرة كالطبيعة والكيمياء . . الخ .

ولقد أدى هذا الفهم لهذه العلوم خدمات كثيرة جدا ورغم هذا لم ينتشر فى العلوم الطبيعية وما شاكلها ، وذلك لصعوبة التطبيق فى بعض الأحيان ولتعذر هذا التطبيق فى أحيان أخرى .

ولما كان فقه اللغة داخلا فى دائرة العلوم الانسانية كان انتفاعه بهذا المنهج ضيق إلى حد ما وكانت النتائج التى أمكن الوصول إليها عن طريق هذا المنهج قليلة جدا ولم يتح لهذا المنهج من ظروف النجاح ما أتيح لغيره ، فهو لا يزال يتعثر بخطا بطيئة بل لا يزال بعض علمائه ينظرون إليه بعين الريبة ولا يثقون كل الثقة بما وصل إليه من النتائج وذلك لأن تغيير الظروف المحيطة بظاهرة لغوية قد يخرج بهذه الظاهرة عن طبيعتها ويخرجها فى صورة غير صورتها الحقيقية . . فيعرض الباحث نتيجة لذلك للخطأ فى الحكم إذ يلتبس عليه الطبيعى بالمصطنع .

رابعا : المنهج المقارن :

ويعتمد هذا المنهج على الموازنة والمقارنة بين الظواهر اللغوية فى طائفة من اللغات وذلك للكشف عما فى هذه اللغات من صلات القربى وخصائص مشتركة تؤدى إلى الكشف عن القوانين العامة للغة .

ومع أهمية هذا المنهج لعالم اللغة ومع لزومه له فى كل الميادين اللغوية التى يتعرض لها فانه كثيرا ما أدى إلى نتائج غير صحيحة وهذه غير راجعة إلى هذا المنهج ذاته وانما ترجع إلى سوء التطبيق ولا سيما عدم الاستقراء الكامل والعجلة فى صياغة القوانين العامة .

الفصل الثانى

اللغـــة

معناها ونشأتها

معنى اللغة من الناحية الاشتقاقية والاصطلاحية :

اللغة خاصة من خواص الانسان بما هو حيوان ناطق كما رأى ذلك فيلسوف العصر الحديث « ديكارت » .

فاللغة خاصية حيث إنه حيوان ناطق أى مفكر وبما هو حيوان مدنى أى اجتماعى فهى إذن تميزه عن أى كائن حى آخر من حيث أنها تعينه على أن يتناول الأشياء والأشخاص تناولا يختلف عن تناول الحيوان لها إذ أن الحيوان يتناول الأشياء بالحواس ، وأما الإنسان فيتناولها مع الحواس بشىء خصه الخالق به وبميزة تفرد بها الإنسان وهو نطقه وتفكيره .

وبما أن هذا التناول يفيد الإحاطة والشمول فهو حينئذ يكون هو التناول الصحيح .

فاللغة منحة عظمى خص الله بها الانسان لتكون سبيله لمعرفة نفسه وما فيها من أسرار أولا ثم ثانيا لمعرفة العالم الكبير حوله ، وما به من أسرار تجعل الإنسان يخر راكعا لخالقه ومنشئه من العدم .

وديكارت حين استأنف الفكرة الفلسفية التى تصورها ارسطو بتعريفه للانسان بأنه حيوان ناطق أضاف إليها أن اللغة تحقق ناطقية

الإنسان الحقيقة بشقيها الفكر والعمل ومن ثم تجعله أهلا لأن يكون خليفة الله على الأرض .

إن قدرتنا بواسطة اللغة على تسمية الأشياء تفيد قدرتنا على تناولها بأذهاننا وقدرتنا على نوع من الهيمنة عليها والبيان والافصاح والإيضاح عن طريق اللغة تحقيق للناطقية الإنسانية .

وللناطقية ركيزتان: ممارسة التفكير وممارسة الحياة فى جماعة .

ثم أن البيان والافصاح باللغة خطوة أيضا فى سبيل الكشف عن النفس وعن الغير وعن الكون والكشف فى الحقيقة فعل والفعل يرمى إلى التغيير دائما .

إذا كان الأمر كذلك فاللغة شىء خطير فليست اللغة مجرد وسيلة أو آلة للترجمة عن الفكر والاتصال بغيره بل هى قبل ذلك تأكيد لماهيتها الأصولة وتزكية لذواتنا فى الحياة الاجتماعية ، ومهمة اللغة فى حياة الإنسان أكبر وأخطر مما قد يبدو للنظرة السريعة فلا يستطيع الإنسان أن يستغنى عن اللغة فإننا جميعا نستعملها دوما أردنا أم لم نرد .

إننا نتحدث مع أهلنا مع أقربائنا مع أصحابنا وزملائنا مع مواطنينا ومع الغرباء عنا بل نتحدث فى بعض الأحيان مع أنفسنا ومع البعداء عنا فى الزمان والمكان .

فاللغة مجلى للفكر وترجمان له كما يقول الإمام محمد عبده ، بل أن اللغة تلازم الفرد فى حياته وتمتد إلى أعماق كيانه إلى أخفى رغباته وخطراته .

أنها تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متراصا خاضعا لقوانين واحدة وهى الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان .

إذا كان هذا شأن اللغة وهذا حالها فما اشتقاقها ؟

وهل هى كلمة عربية أو معربة ؟

وما الأساس الذى ارتكز عليه القائل بذلك ؟

ثم بعد هذا كله . ما معنى اللغة من الناحية الاصطلاحية ؟

وهل اتفقت أقوال وتعريفات اللغويين أو اختلفت .

للإجابة عن كل هذه التساؤلات نقول :

إننا لو رجعنا إلى مصادرنا القديمة وخاصة المعجمات التى بين أيدينا لوجدناهم يقولون :

« إن كلمة لغة » عربية أصيلة فهى فى رأى الفيروزبادى صاحب القاموس المحيط على وزن فعة من الفعل : لغا يلغو إذا تحدث .

وجمعها : لغات ولغون[1] .

ويقول ابن جنى فى كتابه الخصائص[2] : « وأما تعريفها أى اللغة فهى من فعله من لغوت أى تكلمت وأصلها لغة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكروة وقلوت بالقلة ، ولأن ثبه من مقلوب ثاب يثوب ؛ وقالوا فيها : لغات ولغون كسكرات وكرون ، وقيل منها لغى إذا هذى قال رؤبة :

---

(١) القاموس المحيط ٤/٣٨٦

(٢) الخصائص لابن جنى ٢/٣٣

ورب أسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو قال تعالى : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾ أى الباطل .

وقال إمام الحرمين فى البرهان : اللغة من لغى يلغى من باب رضى إذا لهج بالكلام ، وقيل من لغى يلغى .

مما سبق نرى أن أصحاب المعاجم واللغويين يرونها كلمة عربية .

ولكن بعض المحدثين يتساءل فيقول[1] :

هل كلمة لغة مشتقة من هذا الفعل أو ذاك أو أنها مأخوذة من اللهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق « لسان المزمار » وقد يعزز هذا الرأى أن الكلمتين متشابهتان فاللام مشتركة بينهما والهاء والعين من حروف الحلق الذى يحل بعضها محل بعض وأن اشتقاق لغة من لغا أو من لغى ليس جاريا على قياس لغوى .

وهذا الرأى يعززه فوق ماتقدم مانجده فى كثير من اللغات الأخرى وهو أن الكلمة الدالة على لغة تدل فى الوقت نفسه على عضو من أعضاء التكلم .

ففى العبرية تستعمل كلمة سافاه بمعنى لغة وبمعنى شفه ، والشفه كما هو معلوم ومقرر من أعضاء النطق ، والعبرية أخت العربية .

---

(١) محاضرات فى فقه اللغات السامية لأستاذنا المرحوم الدكتور حامد عبد القادر .

وكذلك تستعمل اللغة العربية كلمة لاشون بمعنى لسان ولغة أيضا ، واللسان من أعضاء النطق .

وإذا تركنا اللغة العبرية إلى لغة أخرى إلى فصيلة أخرى غير سامية كاللغة الفارسية مثلا لوجدنا أيضا أن كلمة « زبان » بمعنى لغة وبمعنى لسان أيضا وكذلك فى اللغة الانجليزية نجد أن كلمة tongue تستعمل بمعنى لغة ولسان أيضا .

وهناك رأى آخر مؤداه أن كلمة لغة ليست عربية أصيلة بل أنها تعريب لكلمة lagos الأغريقية والتى تعنى كلمة أو فكرة .

وربما يؤيد هذا الرأى التشابه الكبير بين الكلمة العربية والكلمة الأغريقية[1] .

ويؤيده أيضا عدم ورود كلمة لغة بالمعنى المعروف لنا فى القرآن الكريم وإنما عبر عن اللغة بكلمة لسان ، وكذلك لم ترد فى الشعر الجاهلى أو الأدب العربى المأثور عن أدباء ماقبل الترجمة عن الأغريقية .

وأول من ذكر هذه الكلمة فى شعره صفى الدين الحلى حين قال :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الشدائد أعوان

فبادر إلى حفظ اللغات وفهمها فكل لسان فى الحقيقة إنسان

وصفى الدين الحلى هذا كان فى مقدمة شعراء العصر التركى ، ولد

---

(١) المرجع السابق .

سنة ٦٧٧م وتوفى سنة ٧٥٠م أى بعد عصر الترجمة عن اليونانية بما يزيد عن خمسة قرون .

فإذا صح أن كلمة لغة لم تذكر فى الآداب العربية القديمة التى يعتمد عليها ويعتد بها وأنها وردت أول ماوردت فى شعر المتأخرين من العباسيين كان المرجح أنها من الكلمات المعربة التى نقلت إلى اللغة العربية من الأغريقية[1] .

هذا عن اللغة من الناحية الاشتقاقية .

وأما معنى اللغة فى الاصطلاح :

فلقد اختلف العلماء فى تعريف اللغة اختلافا بينا طبقا لمناهج البحث التى يتبعونها .

فمنهم من يعرفها على أساس عقلى أو نفسى ومنهم من يعتمد فى تعريفها على فكرة منطقية أو فلسفية ، ومنهم من يعرفها من ناحية وظيفتها فى المجتمع وعلى أية حال فهناك أقوال كثيرة فى معنى اللغة ، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مايأتى :

١ — عند علماء النفس :

تسمى أية وسيلة للتعبير عما فى النفس لغة فاللغة عندهم : كل أداة تستعمل لنقل مايخطر بشعور الإنسان إلى غيره .

ولذا تنقسم اللغة فى نظرهم إلى حركية وصوتية ورسمية وخطية .

والصوتية : إما لفظية مقطعية وإما ساذجة ليست فيها مقاطع واضحة

(١) محاضرات فى فقه اللغات السامية للمرحوم الدكتور حامد عبد القادر .

فالحركة الدالة على القبول أو الرفض والإشارة باليد والرأس أو الجسم إلى معنى من المعانى ، والصياح والبكاء ، والموسيقى والرسم والتصوير والكلمات المنطوق بها أو المدونة كل هذه وما يشبهها مما يستعمل لنقل خاطر من الخواطر إلى الغير يسمى لغة فى اصطلاح علماء النفس .

وبالنظر إلى الأقسام الآنف ذكرها يتبين لنا أنها بهذا الترتيب فى الظهور فى حياة الفرد وحياة النوع على السواء فأولها ظهوراً اللغة الحركية وتليها اللغة الصوتية بفرعيها وآخرها اللغة التدوينية .

٢ — المدرسة الثانية علماء المجتمع

فعندهم تعرف اللغة بالنظر إلى وظيفتها فى المجتمع فتعريفها عندهم : اللغة نظام من رموز ملفوظة عرفية بواسطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة .

والذى أورد هذا التعريف العالم الأمريكى ادجار استير تفنت.

شرح التعريف :

كلمة « نظام » فى هذا التعريف تميز اللغة من مجرد مجموعات من المقاطع التى لا معنى لها كالآتى : با بو عاعو ... الخ

هذه المقاطع قد تحمل معانى انفعالية ذات معنى لو اقترنت بتنغيم وايقاع خاصين ولكنها مع ذلك لا تكون جزءا من التركيب النظامى فى اللغة العربية مثلا .

وهذا بعكس جملة « الذئب يعض الولد » فانها ذات نظام تركيبى خاص ويمكن فهمها فى المجتمع العربى حتى لو غيرنا مكان كل من الولد والذئب وقلنا مثلا « الولد يعض الذئب » وحتى لو بدا هذا التركيب

سخيفا فان المعنى مفهوم لدى أفراد المجتمع .

والكلمة الأساسية فى العبارة « رموز ملفوظة عرفية » هى كلمة « رموز » « الرمز » بالضرورة يتضمن فكرة ثنائية بمعنى أنه يجب أن يكون هناك شىء يمثل شيئا آخر هذه الفكرة الثنائية يمكن تمثيلها هكذا صيغة / معنى أو لفظ / مضمون أو كلمة / مفهوم فالصيغة فى هذه الحالة التى معنا هى جزء منطوق له معنى والمعنى هو معنى هذا الجزء .

« الرمز العرفى » معناه الرمز الذى لا تتعلق صيغته بالمعنى تعلقا ضروريا أو طبيعيا : فالكلمة العربية « كاب » لها تقريبا معنى الكلمة.

وكذلك مئات الكلمات فى مئات اللغات الأخرى والسبب الوحيد فى أن الكلمة العربية كلب تحمل هذا المعنى الخاص بها ما هو إلا أن المتكلمين العرب يستعملونها فى هذا المعنى .

أما الكلمة « الملفوظة » يخرج الغير ملفوظة مثل الإشارة واللغة المكتوبة وغيرها من أنواع وكل هذه تكون موضوعات مهمة جديرة بالبحث والدراسة ، وهى أيضا ذات صلة بالكلام المسموع والسبب الوحيد فى عدم اعتبارها فى التعريف السابق هو السهولة واليسر.[1]

٣ — وأما المدرسة الثالثة : فهم علماء المنطق :

وهؤلاء يعلقون أهمية كبرى على استعمال اللغة بوصفها وسيلة للتعبير عن الأفكار .

يقول أحد علماء هذه المدرسة وهو الأستاذ جفونز فى كتابه مبادىء

---

(١) قضايا اللغوية للاستاذ الدكتور كمال بشر ص ١٥، ١٤.

دروس المنطق : « إن للغة ثلاث وظائف :

(أ) كونها وسيلة للتوصيل أى توصيـــل الرغبات والعواطف والأفـكار وما شاكل ذلك .

(ب) كونها مساعدا آليا للتفكير .

(ج) كونها أداة للتسجيل والرجوع : يعنى بذلك لغة الـكتابة حين يـكتب الانسان ويدون أفكاره وآراءه ثم يرجع إليها وقت الحاجة »[1]

٤ — المدرسة الفلسفية

يقول أنصار هـذه المدرسة فى تعريف اللغة أنها استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص لآخر .

ومن أنصار هذه المدرسة العالم الأمريكى سابير ويشبهه إلى حد كبير الأستاذ هيرمان بول.

٥ — تطلق على النطق والتكلم وعلى القوة كما تطلق على الألفاظ التى يعبر بها المتكلم عما يخالج نفسه من المعانى الآنية إليه من الإحساس والشعور وقوى التفكير ولذا تعرف بأنها العمل الفـكرى المتكرر دائما لإبراز الفـكر الإنسانى فى إحداث أصوات منظمة أو مختلفة .

٦ — ولقد عرفها القدماء أيضا فقالوا :

اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[2]

وهذا قليل من كثير فى معنى اللغة ، وعلى أية حال فليس الغرض من اللغة عند الانسان المتمدين مقصورا على نقل الأفكار إلى غيره فقط

(١) المرجع السابق ص ١٧

(٢) الخصائص لابن جنى ص ٣٣ ، والقاموس المحيط ج ٤ ص ٣٨٦ ، والمزهر للسيوطى ج ١ ص ٧

بل أنها تتخذ وسيلة للفكر والفهم وتربية الذوق والخيال ومن ثم كان أتم تعريف للغة بمعناها الاصطلاحى هو :

« أنها أصوات تعبر بها كل قوم عن أغراضهم ويتخذونها أداة للفكر والفهم وتربية الذوق والخيال » .

وتنوعت الآراء بين العلماء فمن قائل بالتوقيف ومن قائل بالمواضعة والاصطلاح ومن قائل إن الفضل فى نشأة اللغة يرجع إلى غريزة خاصة فى الإنسان ، ومن قائل إن اللغة الإنسانية نشأت عن الأحداث الطبيعية أى التعبير الطبيعى عن الانفعالات ... الخ

وهذه الآراء

ويكفى أن نشير إلى أهم هذه النظريات .

نظرية التوقيف

ومؤدى هذه النظرية أن اللغة الانسانية الأولى توقيفية أى قائمة على التوقيف أو الوحى والإلهام من الله سبحانه وتعالى ، ويرى أصحاب هذه النظرية أن الله تعالى لما خلق الأشياء ألهم الإنسان الأول آدم عليه السلام ولقنه كل شىء يتعلق باللغة كتقطيع الأصوات وتكوين الكلمات ووضعها بإزاء معانيها ، وذلك بأحد أمور ثلاثة :

(أ) عن طريق الوحى .

(ب) أو بعلم ضرورى

(ج) أو بخلق أصوات فى بعض الأجسام .

واختلف القائلون بهذه النظرية فيما علمه آدم عليه السلام . فقيل علمه الأسماء كلها وهى الأسماء التى يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل

وجبل وقيل علمه أسماء الملائكة [١] .

وقيل علمه اسم كل شيء وبجميع اللغات ، فكان هو وولده يتكلمون بها ثم أن ولده تفرقوا فى مختلف البقاع ، وعلق كل واحد بلغة فغلبت عليه ونسى ما عداها ، وذلك لتقادم العهد وتوالى الأجيال .

أصحاب هذه النظرية :

ذهب إلى القول بها فى العصور القديمة الفيلسوف اليونانى هيراكليت وفى العصور الوسطى بعض علماء العربية كابن فارس فى كتابه الصاحبى فى فقه اللغة . وأبو على الفارسى ، وأبو الحسن الأخفش فى أحد قوليهما من اللغويين ، ويعزى هذا الرأى لابن جنى غير أنه يميل إلى كونها اصطلاحية وفى العصور الحديثة : الأب لامى الفرنسى ، والفيلسوف ديونالد الفرنسى .

نشأة اللغة عند الانسان

مما لا شك فيه أن اللغة الانسانية ترجع إلى المجتمع نفسه وإلى الحياة الاجتماعية إذ لولا اجتماع الافراد بعضهم مع بعض وحاجتهم إلى التعاون والتفاهم فى مشاكل الحياة المتشابكة والمتنوعة لما وجدت اللغة .

فاللغة إذاً ظاهرة اجتماعية مثلها مثل غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى ويؤثر فيها ما يؤثر فى هذه الظواهر .

ومن هنا يتبين لنا أن المشكلة ليست فى البحث عن الأسباب التى أدت إلى نشأة اللغة ولا البحث عمن انشأها . وإنما المشكلة فى الكشف عن العوامل والاسباب التى أدت إلى وجودها ، فى هيئة أصوات مركبة ذات مقاطع متميزة الكلمات والكشف عن الصورة الأولى التى ظهرت بها هذه الأصوات

(١) المزهر للسيوطى ١/٨

وبيان الأسباب والعوامل التي وجهت إلى هذا الأسلوب دون ما سواه

وإذا وجهنا نظرنا إلى هذا الموضوع والبحث عن الحقيقة فيه ألفينا أنفسنا أمام عدد هائل من النظريات المتباينة حيث اختلف الفلاسفة والمفكرون فى بيان نشأة اللغة عند الإنسان وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى منذ أمد بعيد إلى يومنا هذا ، والعلماء معنيون باللغة وواضعها ومنشئها حتى أن أحد ملوك الفراعنة حاول البرهنة على أن اللغة المصرية أصل اللغات وكذلك شغل هذا الموضوع فلاسفة الأغريق كهيراكليت (٥٧٦ — ٤٨٠) ق . م وأفلاطون (٤٢٧ — ٣٤٧) ق . م وكذلك علماء العرب على اختلاف اتجاهاتهم من لغويين وأصوليين ومتكلمين فى القرن الرابع الهجرى وما بعده .

وفى العصر الحديث شغل هذا الموضوع المفكرين والفلاسفة الأوربيين والأمريكان وجميع الباحثين اللغويين فى مختلف بلدان العالم .

أدلة القائلين بهذه النظرية

استدل أصحابها بأدلة نقلية وأخرى عقلية .

أولا : الأدلة النقلية :

استدل المسلمون ممن قالوا بهذا الرأى بعدة أدلة وأقواها قوله تعالى: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ... ﴾ الآية فهذه الآية الكريمة تدل على أن الأسماء كلها معلمة لآدم عليه السلام من عند الله والاقتصار على الأسماء ، إما لأن الاسم فى الاستعمال على قسمين الأول : بالنسبة للاصطلاح النحوى ، والثانى : بالنسبة للوضع الأول ويطلق على أنواع الكلم الثلاثة لأن كلا منها ، علامة كما فى الآية الكريمة التى معنا .

وإما لأن الاقتصار فى الآية على الأسماء لأنها أقوى أنواع الكلم الثلاثة لأنه لابد لكل كلام مفيد من الاسم ، وقد تستغنى الجملة عن الفعل والحرف معا .

واستدلوا أيضا بقوله تعالى : ﴿ إن هى إلا أسماء سميتموها ﴾ .

ووجه الاستدلال أن الله سبحانه وتعالى ذم قوما فى إطلاقهم أسماء غير توقيفية ، وذلك يقتضى كون البواقى توقيفية .

واستدلوا أيضا بقوله تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾ .

ووجه الاستدلال : أن الألسنة اللحمانية غير مرادة لعدم اختلافها لأن بدائع الصنع فى غيرها أكثر فالمراد بها اللغات .

واستدل غير المسلمين من القائلين بهذه النظرية بما ورد فى سفر التكوين الجزء الثانى الفقرتين ١٩ ، ٢٠ حيث يذكر :

« والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذى يضعه له الإنسان فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول » .

ثانيا : الأدلة العقلية :

استدل القائلون بهذه النظرية من المسلمين بأدلة عقلية وهى :

١ — لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتيج فى التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة يعود إليه الكلام ، ويلزم من هذا

إما الدور أو التسلسل وكلاهما محال، فيتعين حينئذ كون اللغة توقيفية ويضيف ابن فارس قوله ، ولم يبلغنا أن قوما من العرب فى زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم .

٢ — الكلام أجل من أن يبدعه الإنسان وكيف يبدعه وهو إنما يفكر عن طريق ألفاظ متخيلة يناجى بها نفسه ، فالفكرة متوقفة على الكلام وإذا كان الطفل لا يفكر إلا بعد أن يكلمه أبواه فكذلك الإنسان الأول لا يفكر إلا بعد أن يكلمه الله .

٣ — ويقول ابن فارس الدليل على صحته إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه ثم احتجاجهم بأشعارهم ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحا لم يكن أولئك فى الاحتجاج بهم بأولى فى الاحتجاج بنا لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق .

هذه النظرية فى الميزان

إذا نظرنا فى الأدلة التى استدل بها أصحاب هذه النظرية سواء منها الأدلة النقلية أو الأدلة العقلية لتبين لنا من خلال مناقشة العلماء لها ما يلى :

أولا : الأدلة النقلية :

١ — قوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ... ﴾

الاستدلال بهذه الآية قائم على تفسير علم بلقن ووقف ، وعلى تفسير الأسماء بألفاظ . وهذا غير متعين لما يأتى :

(أ) يقول ابن جنى فى تفسير هذه الآية يجوز أن يكون تأويل علم آدم أى أقدره على أن واضع عليها ، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لامحالة وإذا كان هذا محتملا سقط الاستدلال بهذه الآية على كون اللغة توقيفية .

وقال الراغب : وعلم آدم الأسماء كلها نتعليمه الأسماء هو أن يجعل له قدرة بها نطق ووضع أسماء الأشياء ، وهذا صريح فى أن آدم عليه السلام هو الذى وضع اللغة وعلم على هذا بمعنى أقدر كما فى قوله تعالى : ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم ﴾ .

(ب) تفسير الأسماء بالألفاظ اصطلاح نحوى متأخر وأصل وضعها فى اللغة أن تكون علامة ودليلا على المسمى وإنما يدل على الشىء بصفاته وخصائصه فيحتمل بل من المرجح أن يكون المراد من الأسماء الخصائص والصفات ، فسمة الخيل العدو وسمة الثور الحرث وسمة الجمال الحمل .

فلم لايكون المراد هو خصائص الأشياء ، وإذا كان هذا محتملا سقط الاستدلال به .

٢ — ويجاب عن الآية الثانية بأنه سبحانه وتعالى ذمهم لأنهم سموا الأصنام آلهة واعتقدوها كذلك .

٣ — ويجاب عن الآية الثالثة : بأن المراد هى الألسنة اللحمانية واختلافها هو أن ينشئها الله تعالى مختلفة فى الشكل والهيئة والتركيب ، فتختلف نغماتها وأصواتها حتى لايشتبه صوتان من أخوين . ولاشك أن فى هذا من بدائع الصنع مافيه .

أما الدليل الذى استدل به غير المسلمين ، فالنص المذكور عن سفر التكوين لايدل على شىء مما يقول به أصحاب هذه النظرية بل يكاد يكون دليلا عليهم .

ثانيا : الأدلة العقلية :

وأما الأدلة العقلية التى أوردها بعض علماء المسلمين فردود عليها أيضا وإليك الردود :

١ — الاصطلاح لايستدعى اصطلاحاً آخر بدليل تعليم الطفل دون سابق اصطلاح وهذا الدليل أصلا للرد على من يقول بأن اللغة اصطلاحية وكون اللغة غير اصطلاحية لايتعين كونها توقيفية لأنه يحتمل نشأتها عن طريق آخر غيرهذين الرأيين التوقيفى والاصطلاحى.

٢ — قولهم : الفكرة متوقفه على الكلام .

الرد عليه هو أن الفكرة لاتتوقف على الكلام الصوتى وإنما تتوقف على الكلام النفسى والذى لايخلو منه إنسان حتى الإنسان فى نومه واللغة والكلام الذى نريد الاستدلال على نشأته كلام صوتى لانفسى .

٣ — وأما الرد على ابن فارس :

فهو أن كون اللغة توقيفية أو غير ذلك المراد من اللغة هى اللغة الإنسانية الأولى وليست اللغة العربية التى تعنيها أنيت .

والخلاصة أن هذه النظرية ليست موضع اتفاق ولذا وجدنا

المفكرين من قدامى ومحدثين يقولون بنظريات أخرى سنقف على بعضها فيما يأتى :

نظرية المحاكاة

وهذه النظرية مؤداها أن لغة الإنسان الأول نشأت أول ما نشأت عن طريق المحاكاة فلقد سمى الإنسان الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها وعبر عن الأفعال بأصوات تشبه الأصوات التى تصدر عند قيام الإنسان بتلك الأعمال وسارت اللغة فى سبيل الرقى شيئا فشيئا تبعا لارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة واتساع نطاق الحياة الاجتماعية وتعدد الحاجيات .

ولقد قال بهذه النظرية كثير من فلاسفة العصور القديمة ومن علماء العرب فى العصور الوسطى كابن جنى فى كتابه الخصائص فلقد عرض هذه النظرية عرضاً تفصيليا . والظاهر أنه يميل إلى الأخذ به .

ولقد قال بهذه النظرية أيضا كثير من علماء اللغة المحدثين على رأسهم « ونى » .

نظرية المواضعة

مؤدى هذه النظرية أن اللغة ابتدعت ووجدت عن طريق التواضع والاتفاق وارتجال ألفاظها ارتجالا فالإنسان هو الذى ركب الكلمات من الحروف ووضع ألفاظ اللغة لمعانيها .

ويقولون إن الإنسان دعته الحاجة إلى أن يتفاهم مع غيره من بنى قومه ، ولا يمكن ذلك إلا عن طريق اللغة مما أدى أن يقوم واحد

أو جماعة إلى وضع الألفاظ وتكوينها من الأصوات والحروف المختلفة ثم وضعها بازاء معانيها ثم عرف الباقون هذين عن طريق التكرار والإشارة كما يفعل الوالدان بالطفل الصغير ، وكما يفعل الأخرس مع غيره حيث يبين عما فى نفسه عن طريق تكرار الإشارة عدة مرات .

أصحاب هذه النظرية :

ذهب إلى القول بهذا الرأى فى العصور القديمة ، الفيلسوف اليونانى « ديموكريت » من فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد .

وفى العصور الوسطى كثيرون ، فلقد قال بهذه النظرية أبو على الفارسى وأبو الحسن الأخفش فى أحد قوليهما .

وقال بها من الأوربيين فى العصر الحديث : الأب آدم سميث ودجلد ستيوارت . ويبين لنا ابن جنى المواضعة فيقول نقلا عن القائلين بها .

وذلك[1] بأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون إلى الإبانة عن أشياء ومعلومات فوضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا إذا ذكر عرف به ماسماه ليمتاز عن غيره .. بل قد يحتاج فى كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن احضاره ولا ادناؤه كالفانى وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد كيف يكون ذلك لو جاز .. فيكأنهم جاءوا إلى واحد من بنى آدم فأومأوا إليه وقالوا إنسان إنسان فأى وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق وإن أرادوا سمة

(١) الخصائص لابن جنى ج ١ ص ٤٤ .

عينه أو يده أشاروا إلى ذلك ... فمتى سمعت اللفظة عرف معناها وهلم جرا فيما سوى هذا من الأسماء والأفعال والحروف .

ثم لك بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها (أى من اللغات الأخرى) فتقول . الذى اسمه إنسان فليجعل مكانه « سر » ، وعلى هذا بقية الكلام .

وكذلك لو بدئت اللغة الفارسية فوقعت المواضعة عليها لجاز أن تنقل ويولد منها لغات كثيرة من الرومية والزنجية وغيرها ، وعلى هذا ماشاهده من اختراع الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجار والصائغ والحائك والبناء وكذلك الملاح .

أدلة هذه النظرية :

ليس لهذه النظرية أى دليل عقلى أو تاريخى أو نقلى بل قامت نظريتهم هذه على أساس هدم النظرية التوقيفية والرد عليها .

واستدلوا على نظريتهم بقولهم إن أول اللغة لابد أن يكون مواضعة ولا بد مع المواضعة الإشارة بالجارحة والخالق منزه عن الجارحة ، وإذا امتنعت المواضعة من الله فلا بد أن تكون من الإنسان .

وفى الرد على زعمهم هذا يقال لهم : إن قولكم إن أول اللغة لا بد أن يكون مواضعة غير مسلم لأنه محل الخلاف بينهم وبين من قالوا بالتوقيف .

ولسنا هنا بصدد مناقشة نظرية جديرة بالمناقشة لأنها ضرب من ضروب التخمين والجدل العقلى العقيم . وذلك لأن التواضع الذى ذهبوا

إليه لا بد له من لغة صوتية يفهم عن طريقها ، فما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل .

وأما ما اعتمدوا عليه من قولهم إذا لم تكن اللغة مواضعة لكانت توقيفية ويلزم من كونها توقيفية وجود واسطة بين الله وبين البشر لاستحالة خطاب الله تعالى مع كل أحد من بنى الإنسان لقوله تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا »

والواسطة النبي ووجود النبى مقدم على اللغة ويبطل هذا قوله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه »

والآية صريحة على تقديم اللغة على البعثة.

ولكنه أجيب بأن الآية تدل على ذلك فعلا وهو تقدم اللغة على البعثة ولكن يحتمل أن يتخذ أول نبي ثم يوحى إليه باللغة فيعلمها قومه ثم يرسله إليهم .

ومن هنا يتبين لنا عدم جدوى هذه النظرية ويظهر لنا ضعفها وفسادها :

نظرية الغريزة الكلامية

مؤدى هذه النظرية أن اللغة نشأت عن طريق غريزة خاصة زود بها أفراد الجنس البشرى فى بادىء الأمر وهذه الغريزة كانت تحمل كل فرد من الأفراد على التعبير عن كل ما يدركه من الحسيات والمعنويات بكلمات خاصة لكل نوع .

وذلك بالقياس على التعبير الطبيعى عن الانفعالات حتى اليوم مثل

الضحك ، البكاء ، انبساط أسارير الوجه وانقباضها لدى جميع الأفراد .

وهذه الغريزة التى زود بها الإنسان كانت متحدة عند بنى البشر فى بداية الأمر ، وبفضلها استطاع الإنسان أن يتفاهم أفراده ومن هنا كانت التعبيرات متشابهة لدى الجماعات الإنسانية الأولى ثم بمرور الزمن تنوعت هذه الغريزة .

أصحاب هذه النظرية :

والقائلون بهذه النظرية جماعة على رأسهم « ماكس مولر الألمانى» و « رينان الفرنسى »

أدلتها :

اعتمد هذان العالمان فى إثبات هذه النظرية على أدلة مستمدة من البحث فى الكلمات فى اللغات الهندية الأوربية إذ تبين « لماكس مولر» أن هذه الكلمات ترجع إلى خمسمائة أصل مشترك ، وهذه الأصول تمثل اللغة الإنسانية الأولى لأمرين :

الأول : لأنها تدل على أمور كلية .

الثانى : لأنه لا تشابه بين معانى هذه الأصول وأصواتها حيث يمكن أن تكون اللغة نشأت عن طريق التواضع نظرا لدلالة هذه الأصول على معان كلية لا يمكن التواضع عليها ، ونظرا لتوقف التواضع أيضا على ألفاظ يمكن التفاهم عن طريقها وهو أيضا يتعارض مع النظم الاجتماعية . ولا يمكن أن تكون اللغة أيضا نشأت عن طريق المحاكاة لعدم تشابه معانى هذه الكليات وأصواتها ، فلا يمكن إذن أن تكون اللغة نشأت عن طريق المواضعة والمحاكاة وإذا كان الأمر

كذلك تعين كونها نشأت عن طريق هذه الغريزة الخاصة التى زود بها أفراد البشر ثم تلاشت وذهبت .

وهذه النظرية كما ترى لا تقوم على أساس سليم فأكبر خطأ وقع فيه أصحابها هو ذهابهم إلى أن الأصول الخمسمائة تمثل اللغة الإنسانية الأولى وليس الأمر كذلك فالواقع أن هذه الأمور الكلية تمثل مرحلة متقدمة للغة قطعت أشواطا بعيدة فى التقدم والرقى ولا أدل على ذلك من لغات الأمم البدائية والتى تعد لغاتهم أقرب إلى اللغة الانسانية الأولى لا يكاد يدركون المعانى الكلية نظرا لضعف مستواهم العقلى والذهنى ، وألفاظ لغاتهم تشمل الكثير من المفردات التى تدل على أمور جزئية وحسية وما إلى ذلك.

فهذه النظرية أيضا لا تحل المشكلة التى نحن بصددها فهى غير مقبولة جملة وتفصيلا .

النظرية الحديثة فى نشأة اللغة

وتسمى نظرية التطور اللغوى ولقد رجح بعض المحدثين هذه النظرية ومؤداها أن اللغة ظاهرة اجتماعية ومعنى كونها اجتماعية أنها تنمو فى المجتمعات نتيجة لاتصال أفراد المجتمع بعضهم ببعض وحاجتهم إلى التفاهم وظاهرة اللغة كأى ظاهرة اجتماعية أخرى نشأت أول ما نشأت بسيطة ساذجة ثم بمرور الزمن سلكت مراحل متعددة فى تطورها ونموها حتى وصلت إلى درجة الكمال أو قاربت .

ومعنى كونها ظاهرة طبيعية أنها ناشئة عن ميل الإنسان ميلا فطريا إلى التعبير عن إحساساته وأغراضه .

ومما ساعد على ترجيح هذه النظرية دراسة التطور اللغوى لدى الطفل فان هذا النمو يشبه إلى درجة كبيرة نمو لغة الإنسان كنوع أى أن اللغة نشأت فى الإنسان كفرد بالطريقة التى نشأت فيه كنوع .

أما المراحل التى سلكتها اللغة فى تطورها فى الحالتين السابقتين فيمكن إجمالها فى عدة مراحل هى :

أولا : مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية التى صدرت عن الإنسان فى حياته الأولى حين لم ينضج أعضاء التكلم لديه ولم تحدد رغباته .

وتظهر هذه المرحلة عند الطفل فى حياته اللغوية فى الوقت الذى تصدر عنه فى أول عهده بالنطق بعض أصوات مبهمة لا يفهم منها فى كثير من الأحيان غرض معين .

ثانيا : مرحلة الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض والرغبات المصحوبة فى الغالب بالاشارات أو الحركات المتنوعة لمساعدة للأصوات على الإبانة عن الأغراض التى يقصدها ويعنيها ، وقد ساعد على هذا التطور فى الأصوات نمو أعضاء النطق من جهة ونمو الاحساس والشعور الذاتى لدى الانسان من جهة أخرى ، والأصوات المكيفة هى المتنوعة لاختلافها فى الطول والقصر والارتفاع والانخفاض والغلظ والرقة .

ويشبه هذه المرحلة فى نمو الطفل اللغوى تلك المرحلة التى يصل إليها فى أواخر السنة الأولى من حياته تقريبا .

وفى هذه المرحلة من مراحل النمو اللغوى لدى الإنسان لم يكن هناك كبير فرق بين أصوات الانسان وأصوات الحيوان الدالة على شعوره بالحاجة إلى مساعدة غيره ، فهو بهذه الأصوات يعبر عن شعوره ويستعين

بغيره من أبناء جنسه .

ثالثا : مرحلة المقاطع المتكررة : وفى هذه المرحلة تستعمل لغة الإنسان أصوات واضحة المعالم ومحددة بعد أن كانت فى صورة مقاطع قصيرة مستنبطة فى الغالب من الأصوات المحيطة به من الأشياء والظواهر الطبيعية أو على الأقل متأثرة بها وهذه المرحلة تشبه عند الطفل المرحلة التى تبدأ فى الاشهر الأولى من السنة الثانية من حياته وذلك حين ينطق بمقاطع مكررة يطلب بها ما يريد من أشياء معينة متأثراً فى ذلك بما يحيط به ، ولا يزال يكرر ذلك حتى يتكون منها لغته البدائية وذلك كقوله تك تك الدلالة على المنبه وبس بس الدلالة على القطة ومش مش الدلالة على المشمش وشك شك الدلالة على الشيكولاته وهو هو الدلالة على الكلب ... الخ

رابعا : مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع :

وفى هذه المرحلة تم اكتمال لغة الإنسان الفطرية الأولى ولقد وصل إلى هذه المرحلة حين اكتمل عقله وتم لأعضاء النطق عنده النضج والاكتمال واتسع نطاق حياته الاجتماعية وزادت رغباته وتعددت مطالبه . وكان نتيجة لذلك كله أن زادت حاجته للغة كى يتفاهم عن طريقها مع غيره .

وفى هذه المرحلة كون الإنسان الكلمات من المقاطع السابق شرحها فى المرحلة السابقة فكان بذلك بداية الأصول اللغوية العامة التى استعملها الانسان الأول لقضاء حاجاته والتعبير عن أغراضه ورغباته ومن هذه الاصول اشتق الإنسان الكثير من الفروع وبالتأليف بين هذه

الفروع وتلك الأصول اكتمل تكوين لغة الانسان الفطرية هذه .

وتشبه هذه المرحلة فى حياة الطفل اللغوية مرحلة نموه اللغوى حين يستطيع التكلم كما يتكلم غيره ممن يحيطون به ويخالطونه وهنا تتألف ثروته اللغوية حينئذ من مجموعة الكلمات الضرورية التى تشيع فى بيئته للتعبير عن أغراضه وتنتهى هذه المرحلة فى بداية السنة الرابعة عند الطفل بالتقريب .

خامسا : مرحلة الوضع والاصطلاح :

وهذه المرحلة آخر مراحل النمو اللغوى العادى وهى أن تكون فطرية تقوم على أساس فطرى ذلك هو حاجة الانسان الملحة إلى السيطرة على زمام البيئة التى يعيش فيها وجعل لغته مسايرة لتفكيره ومشاعداته التى يتسع نطاقها على مر الزمن لكثرة التجارب وتشعب نواحى الحياة وفى هذه المرحلة ابتكرت الاسماء الدالة على المسميات ووضعت المصطلحات العلمية . ولا تزال اللغة تنمو باطراد ولا يزال عدد مفرداتها يزيد كلما تقدم الانسان فى الحضارة وازداد نموه الفكرى إزديادا لا يظهر أنه سيقف عند حد .

ويشبه هذه المرحلة مرحلة النمو اللغوى لدى الطفل حينما يذهب إلى المدرسة ويدرس العلوم والفنون ويتعلم المصطلحات العلمية والفنية المختلفة التى تحتوى عليها تلك العلوم والفنون .

سادسا : مرحلة وضع قواعد اللغة :

لم يكتف الإنسان الذى لا تقف جهوده الفكرية عند حد بأن يتعلم اللغة ويعرف مفرداتها وأساليبها الضرورية لسد حاجته وقضاء

مآربه الاجتماعية بل إنه أخذ يقنن اللغة ويضبطها عن طريق وضع قواعد تحافظ عليها وتصونها من الانحراف والخلل وتسهل تعلمها وتعليمها كما أنه أخذ حين اكتمل عقله وتم نضجه الفكرى يضع القواعد الفكرية وهى القوانين المنطقية التى تحفظ الفكر وتحميه من الفساد.

وتشبه هذه المرحلة من مراحل النمو اللغوى لدى الطفل وتلك المرحلة التى يتعلم فيها قواعد اللغة حين ينمو إدراكه ويستطيع أن يستنبط القواعد العامة والقوانين الكلية من الأمور الجزيئة ، ولا يصل الطفل إلى هذه المرحلة إلا فى أواخر السنة الحادية عشرة من العمر .

سابعا : مرحلة التنميق والتجميل :

ويظهر أن هذه المرحلة ليست مستقلة تمام الاستقلال عن المرحلتين السابقتين بل أنها متداخلة فيها مكملة لهما وتتمثل هذه المرحلة فى تجميل الكلام وإخضاعه لمقاييس النظم أو النثر الفنى وكان من آثار ذلك ظهور الشعر والنثر الفنى اللذين تتمثل فيهما جمال اللغة .

وبعد أن وضحت معالم هذه النظرية لديك ووقفت على جميع مراحلها التى تسير فى نسق واتزان فى تسلسل وانسجام وتتدرج من النشأة إلى النضج والكمال ومن الصغر إلى الكبر يتبين لك أن هذه النظرية أقرب النظريات التى مرت بك وأساس ترجيح هذه النظرية على ماعداها أنها تخضع اللغة فى نشأتها وتطورها إلى سنة التطور شأنها فى ذلك شأن كل كائن حى ينشأ صغيراً ثم ينمو شيئا فشيئا بحسكم طبيعته البيئية التى ينشأ فيها حتى يصل إلى درجة الكمال .

ثم أن هذه النظرية تشرح لنا السر فى نمو اللغة من حيث متنها

وأساليبها وتعزو ذلك إلى سلوك الإنسان مسلك التقدم والرقى فى جميع مقومات حياته الخاصة وظروف حياته الاجتماعية وإلى حاجته الماسة إلى تنمية لغته لتساير حياته كى تسعفه بالألفاظ اللازمة للتعبير عن أفكاره وأغراضه والتى تزداد على مر الأجيال وتوالى القرون .

وأيضا لا تمنع هذه النظرية وجود أكثر من عامل واحد لنشأة اللغة وتطورها فمن المحتمل بل يكاد يكون من المرجح فى نظر أصحاب هذه النظرية أن الانسان قد تأثر فى إصدار الاصوات الساذجة أو المكيفة بما كان يسمع من أصوات الحيوان أو غيره من الظواهر الطبيعية ، وأن بعض تلك الاصوات كانت تعبيراً تلقائيا عن آلامه وانفعالاته وعواطفه ولا تنكر هذه النظرية أثر الاشتقاق أو الوضع المبتكر فى تنمية متن اللغة وتعدد أساليبها كما أن هذه النظرية لا تمنع أو تعارض النظرية التوقيفية بل توافق القائلين بالتوقيف وخاصة فى بدء نشأة اللغة عند الإنسان الاول .

الفصل الثالث

الفصائل اللغوية

اتفق العلماء على تسمية اللغات التى يثبت تشابهها وانحدارها من أصل لغوى واحد « فصيلة أو سلالة لغوية » .

ولقد حاول كثير من العلماء أن يرجع اللغات الإنسانية إلى فصائل عامة ولقد تباينت وجهات النظر فى هذا الموضوع تباينا شديدا فعلى الرغم من اتفاق علماء اللغة على الأسس التى يجب الاستناد إليها فى تحديد الفصائل اللغوية وعلى المنهج العلمى الذى يجب أن يتبع فى هذا البحث فإنهم اختلفوا فى نتائج البحث ولم يتفقوا على عدد الفصائل اللغوية وعلاقة بعضها ببعض ولهم فى ذلك آراء مختلفة أشهرها وأقربها إلى القبول رأى العالم الألمانى « ماكس مولر » الذى يقول بأن لغات العالم ترجع إلى ثلاث فصائل لغوية أساسية وهى :

١ — الفصيلة الهندية الأوربية وتسمى الآرية .

٢ — الفصيلة الساميه الحامية .

٣ — الفصيلة الطورانية .

وهناك رأى آخر يجدر بنا أن نشير إليه قبل أن نتناول بالكلام بيان هذه الفصائل الثلاث عند ماكس مولر وهو رأى شليجيل الألمانى.

فلقد نظر هذا العالم إلى اللغات من حيث الطرق المختلفة التى تسلكها للتعبير عن الأفكار فوجدها تنحصر فى ثلاثة أقسام وهى :

القسم الأول : اللغات المتصرفة أو التحليلية :

وهذه اللغات تتميز من غيرها بتصرف كلماتها أى تغير أبنيتها وبالتالى اختلاف معانيها تبعا لذلك وتوجد بهذه اللغات أدوات تربط بين أجزاء الجملة وتحدد عمل كل جزء فيها ونسبته إلى الأجزاء الأخرى .

ومن هذه اللغات: الفصيلة الهندية الأوروبية وجميع اللغات السامية التى تنسب إليها العربية ومثاله فى اللغة العربية « علم ، يعلم ، أعلم عالم ، معلوم ، علم ، علم ، علوم ، متعلم .. الخ »

وأما أدوات الربط فهى معروفة مثل الواو والفاء وثم والباء الخ .

القسم الثانى : اللغات اللصقية أو الوصلية أو التركيبية وفى هذا القسم تتغير معانى الكلمات يكون عن طريق لصق أحرف بأول الكلمة أو بآخرها وبهذه الطريقة يتحقق ربط أجزاء الجملة وبيان علاقة كل جزء منها بالآخر .

وفى هذه اللغات لاتوجد أدوات للربط بين أجزاء الجملة كاللغات السابقة فى القسم الأول وكذلك لايكون فيها تغيير المعنى بتغير الصيغة وإنما يكون ذلك على النهج السابق المشار إليه ومن لغات هذا القسم : اللغة اليابانية واللغة التركية .

القسم الثالث : اللغات العازلة :

وهذه اللغات ليست بها أدوات للربط بين أجزاء الجملة كما لايتغير المعنى بتغير الصيغة وكذلك لاتضاف حروف فى أول الكلمة أو فى نهايتها للدلالة على ذلك ولكن الكلمات فى هذا القسم تلزم صورة واحدة

لاتختلف ولها معنى ثابت لا يتغير إطلاقا وهذه اللغات تضع كلماتها فى الجملة بعضها إلى جانب بعض وتعرف وظائف الكلمات وعلاقاتها من الترتيب والسياق ، ومن هذا القسم اللغة الصينية وكثير من اللغات البدائية .

وهذا الرأى لم يلق القبول الكامل من علماء اللغة وذلك لأن اللصق والعزل والتصريف يوجد فى أى لغة من لغات العالم فاللغة الرومية مثلا بها التصريف كما مثلنا له سابقا وبها اللصق مثل علم وأعلم وشارك وتشارك فالفرق من بين علم وأعلم هو زيادة الهمزة فى صدر الصيغة الثانية لتدل على زيادة فى المعنى . وكذلك شارك وتشارك فالتاء فى الصيغة الثانية ألصقت فى أول الكلمة الثانية لتدل على بعض التعديل فى المعنى .

ويوجد بها العزل مثل (ضرب موسى عيسى) فالترتيب هو الذى يبين الفاعل ويكون أولا والمفعول يكون ثانيا من هنا يتبين لنا ضعف هذا الرأى والسر فى رفض أكثر علماء اللغة له ورفضهم أيضا للأساس الذى ارتكز عليه هذا الرأى حيث ادعى القائلون به أن اللغة الإنسانية نشأت أول ما نشأت من النوع العازل ثم تطورت فصارت من النوع اللاصق ثم تطورت أكثر فصارت من النوع المتصرف .

رأى ماكس مولر

يرى ماكس مولر أن لغات العالم ترجع إلى ثلاثة أصناف لغوية كما أشرنا سابقا :

١ — الفصيلة الهندية الأوربية أو الآرية .

٢ — الفصيلة السامية .

٣ — الفصيلة الطورانية .

الفصيلة الهندية الاوربية

وتشمل هذه الفصيلة ثمانى طوائف من اللغات وهى جميع اللغات المنتشرة فى آسيا ماعدا اللغات السامية وكذلك تشمل جميع اللغات فى أوروبا وأمريكا الشمالية وإليك بيان هذه الطوائف التى تدخل تحت هذه الأسرة اللغوية :

الطائفة الأولى : اللغات الهندية الإيرانية أو الهندية الآرية وتشمل :

(ا) اللغات الهندية القديمة والحديثة .

(ب) اللغات الفارسية القديمة والمتوسطة والحديثة .

(ج) اللغة الكردية .

(د) اللغات الآوستية وهى لغة سكان القوقاز الأوسط .

(هـ) اللغة الأفغانية .

الطائفة الثانية : اللغات الأرمينية .

الطائفة الثالثة : اللغات الأغريقية وتشمل :

١ — اللغة اليونية .

٢ — اللغة الآتيكية .

٣ — اللغة الدورية .

٤ — اللغة اليونانية .

الطائفة الرابعة : الألبانية .

الطائفة الخامسة: الرومانية أو الإيطالية ،وتشمل اللاتينيةوماتفرع منها وهى :

(ا) الإيطالية الحديثة .

(ب) الفرنسية .

(جـ) الأسبانية .

(د) البرتغالية .

الطائفة السادسة : السكلتيه وتشمل :

(ا) اللغات الايرلندية .

(ب) لغة الغاليين سكان ويلز .

(جـ) لغة البريتون وهم سكان مقاطعة تقع فى غرب فرنسا ، وقد طغت على هذه الطائفة اللغة الانجليزية والفرنسية .

الطائفة السابعة : اللغات الجرمانية وتنقسم إلى ثلاثة أقسام .

القسم الأول : الشرقى وهو اللغة القوطية أو القرطية .

القسم الثانى : الشمالى ويدخل فيه لغات الدانمرك والسويد والنرويج وأيسلندا .

القسم الثالث : وهو القسم الغربى ويشمل اللغات الانجلوسكسونية وهى الانجليزية والهولندية والألمانية والاسكندنافية .

الطائفة الثامنة : البلطيقية السلافية وتشمل :

(ا) لغة السلاف الأقدمين .

(ب) اللغة الروسية .

(جـ) اللغة البولونية .

(د) اللغة التشيكية .

(هـ) اللغة البلغارية .

(و) اللغة اليوغسلافية وتشمل :

(الصربية — والسكرواتية)

الفصيلة الحامية ـ السامية

وتشمل هذه الفصيلة طائفتين من اللغات وهى : الطائفة الأولى : اللغات السامية وهى :

(أ) اللغات الشمالية وهى الأكادية أو ما يسمى بالبابلية الآشورية ، والكنعانية (كنعانية قديمة مؤابية — فينيقية — عبرية قديمة) والأراميـــة .

(ب) اللغات السامية الجنوبية وتشمل العربية (بائدة : لحيانيـة ثمودية ، صفوية) .

و (باقيـة : يمنية وحجازية) واليمنية القـديمة : معينيـة سبئية وحضرمية قتبانية) .

واللغات الحبشية السامية .

الطائفة الثانية : اللغات الحامية وتشمل : القسم الأول :

القسم الشمالى ويشمل اللهجات الليبية القديمة واللهجات البربرية فى شمال أفريقيا .

ثانياً : القسم المصرى القديم : ويدخل فيه الهيروغليفية وكانت لغة الطبقات العليا ، والهيراطيقية وكانت لغة أوساط الناس ، والديموطيقية وكانت لغة العامة وبعد أن دخلت مصر الديانة المسيحية تأثرت اللغة المصرية القديمة باللغة الإغريقية ونشأ عن ذلك اللغة القبطية .

ثالثاً : القسم الجنوبى أو الأثيوبى أو الحبشى ، وتشمل : اللهجات الحبشية المختلفة والتى نشأت عن اللغة الأثيوبية القديمة قبل اتصالها بالفصيلة السامية ولذلك إذا قلنا إن اللغة الحبشية سامية فمعنى هذا أنها بعد أن دخلت السامية وتغلبت على الحبشية الحامية ولذا عددناها ضمن اللغات الداخلة فى الطائفتين كما رأيت . ومما هو جدير بالذكر أن هذه الفصيلة فى الأصل كانت فصيلتين مختلفتين الفصيلة الحامية والفصيلة السامية ، ولكن البحث اللغوى الحديث اكتشف أن هناك صلة قوية بين هاتين الفصيليتين ترجع إلى وجود روابط اجتماعية وسياسية بين الحاميين والساميين من قديم الزمان وخاصة أيام الهكسوس الساميين ، وقد أدت هذه الروابط إلى اتصال لغة الهكسوس ، بلغة المصريين الحاميين .

ولهذا يفضل بعض علماء اللغة المحدثين فصل هاتين الطائفتين إلى فرعين متمايزين هما :

١ — فرع اللغات السامية والتى سنتكلم عنها بشىء من التفصيل فيما بعد بمشيئة الله تعالى .

٢ — وفرع اللغات الحامية ولكن تحت فصيلة واحدة وهى الفصيلة الحامية السامية وإذا أردت أن نطلق على أحد الفرعين لقب

« فصيلة » فلا مانع باعتبار أن كلا منهما فصيلة فرعية متفرعة عن الفصيلة الأصلية الكبرى .

الفصيلة الطورانية

والذى أطلق عليها هذا الاسم هو العالم الألمانى « ماكس موار » وهو مجموعة اللغات الآسيوية الأوربية التى لا تدخل تحت الفصيلتين السابقتين الهندية الأوربية والحامية السامية .

والفصيلة الطورانية هذه ليست فصيلة بالمعنى السليم لأنها مجموعة من اللغات لا ترجع إلى أصل واحد أو يجمع بين أفرادها صلات قرابة أو تشابه بل هى مجموعة من اللغات المختلفة لا يؤلف بينها أو يربطها سوى كون هذه اللغات لا تدخل تحت الفصيلتين السابقتين .

وتشمل هذه الفصيلة : اللغات المختلفة المنتشرة فى شرقى أوربا وشمالى آسيا ولم تتصل كما قلنا بالفصيلة الهندية الأوربية أو الفصيلة الحامية السامية ويعدون من هذه اللغات الفنلندية (فنلندا فى الشمال بجانب روسيا) والتركية والمغولية .

هذا وقد أضاف علماء اللغة المحدثون إلى الفصائل الثلاث آنفة الذكر ست فصائل لغوية أخرى منتشرة فى شرقى آسيا وجنوبها ، وفى جزر المحيطين الهندى والهادى وفى أمريكا واستراليا ونيوزيلندا وهذه الفصائل الست هى :

١ — فصيلة ملايو بولونزية وتشمل :

اللغات واللهجات المستعملة الآن فى الجزر الممتدة من جزيرة فرموزا

وسواحل الصين الجنوبية إلى جزيرة جاوة ثم جزيرة مدغشقر ومنها إلى جزيرة ملقا جنوب الهند .

٢ — الفصيلة الدراويدية : وتشمل عدداً من اللغات واللهجات التى تنتشر فى جنوبى الهند ومنها اللغات التأميلية واللهجات التى يستعملها سكان سواحل ملبار وسكان سيلان .

٣ — الفصيلة البنتوية : نسبة إلى قبائل أفريقيا الوسطى والجنوبية وتشمل : لغات زنزبار ولغات واحة الكنغرة وهرر والكنغو .

٤ — مجموعة اللغات الأمريكية القديمة التى كان ولا يزال يتحدث بها سكان أمريكا الأول والمسمون بالهنود الحمر ، وقد تغلبت اللغات الأوربية — الحديثة على هذه اللغات وبخاصة الفرنسية فى كندا والانجليزية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، والأسبانية والبرتغالية فى أمريكا اللاتينية .

٥ — مجموعة اللغات الاسترالية وقد تغلبت عليها اللغة الانجليزية .

٦ — اللغات الهندية الصينية وتشمل لغات الصين ولغات الهنود الذين يقطنون الهند الصينية ، ولم يختلطوا بالآريين وهذه المجموعة لغة سيام وفيتنام ولغة التبت .

ولغات من يسكنون جبال هملايا .

وعلاوة على ذلك توجد لغات أخرى مستقلة لم يمكن من الممكن إدخالها فى أية فصيلة من الفصائل السابقة .

ومن أشهرها اللغة اليابانية وبعض لهجات جزر الهند الشرقية وبعض لهجات القوقاز وكثير من لهجات النيجر ، والهوتنوت والبوشمان

أى رجال لغابات . وأخيراً اللغة الباسكية فى إقليم بروفانس (مقاطعة فى جنوب أوربا تابعة لفرنسا وايطاليا)

ومما هو جدير بالذكر أن جمعية علم اللغة بباريس كما ذكر الدكتور على عبدالواحد وافى فى كتابه علم اللغة قسمت جميع اللغات الإنسانية الخارجة عن الفصيلتين الحامية السامية والهندية الأوربية التى تسع عشرة فصيلة على أساس ما يجمع بين أفراد كل فصيلة منها من صلات التشابه والقرابة اللغوية فتتفق فى أصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل ويتكون من الأمم الناطقة بها مجموعة إنسانية متميزة ترجع إلى أصول شعبية واحدة أو متقاربة ويؤلف بينها طائفة من الروابط الجغرافية والتاريخية ولذلك تعد نظرية جمعية علم اللغة هذه من أحدث النظريات التى قيل بها فى هذا المجال .

الفصل الرابع

اللغات السامية

اللغات السامية نسبة إلى الشعوب السامية وكلمة « سامية » وصف مأخوذ — مما ورد فى العهد القديم من سفر التكوين الإصحاح العاشر حيث قسم الشعوب إلى ثلاث فصائل :

(أ) الفصيلة السامية .

(ب) الفصيلة الحامية .

(جـ) الفصيلة اليافثية .

نسبة إلى أولاد نوح عليه السلام الثلاثة : سام حام يافث ، فلقد جرت عادة القدماء من المؤرخين أن يقسموا الأجناس البشرية إلى هذه الأقسام وأن يقرروا أن أى جنس آخر لا بد وأن يكون منحدرا عن هذه الثلاثة .

وأول من أطلق هذه التسمية على هذه الشعوب وبالتالى على لغاتها هو العالم الألمانى « شلوزر » ١٧٧٥ — ١٨٠٩ . فقد أطلق هذا الاسم على عدد من اللغات وجدها متشابهة كل التشابه وهى :

الأكادية « البابلية الآشورية » والفينيقية والعبرية والأرامية والسريانية والعربية الشمالية والجنوبية ، والأثيوبية أو الجعزية .

وهذه اللغات هى جملة ما تكلم به الساميون ولقد فنى بعضها وبقى البعض الآخر ، وعلى أية حال فهذه اللغات كانت فى بادىء أمرها لغة

واحدة أو لهجات للغة واحدة ، وهى اللغة السامية الأم أو اللغة الأولى أو الساميه الأصلية .

وهذه اللغة لا نعلم عنها شيئا نظراً لأنها نشأت ونمت فى عصور ضاربة فى القدم سبقت العصور التاريخية ، وجميع جهود العلماء التى بذلت لمعرفة شيء يقينى عن هذه اللغة ذهبت أدراج الرياح .

يقول إسرائيل ويلفنسون فى كتابه تاريخ اللغات السامية ص٣

« إن من العبث إطالة البحث فى أمر غامض مجهول نشأ ونما فى عصور سبقت العصور التاريخية »

وإطلاق لفظ « سامية » على هذه الشعوب وعلى لغاتها أخذ عليه بعض المآخذ إلا أنه على الرغم مما به فلم ير العلماء بأسا فى إبقاء تلك التسمية وقبولها على علاتها لشهرتها وسهولتها ، فانها كما يقول بعض علماء اللغة أصح وأوفق ما اهتدى إليه الباحثون لتسمية كتلة الأمم التى كانت تقطن بلاد آسيا الدنيا والتى كونت وحدة دموية ولغوية مستقلة [1]

وقد كانت هذه الشعوب الساميه - حين عرفت منتشرة فى جزء من الجنوب الغربى من آسيا يمتد شمالا إلى جبال طوروس وجبال أرمينية وشرقا إلى جبال كردستان وخوزستان والخليج ، وجنوبا إلى المحيط الهندى وغربا إلى البحر الأحمر والابيض المتوسط .

وظل الساميون قابعين فى هذه البقعة فترة طويلة من الزمن ولم يخرجوا منها إلا بعد أن انتشر الفينيقيون فى كثير من جزر البحر الابيض وشمال أفريقيا حيث كونوا دولة قوية وعاصمتها قرطاجنة أو

(١) تاريخ اللغات السامية - إسرائيل ويلفنسون ص٣

قرطاجه كما سيأتي بيان ذلك فيما بعد إن شاء الله . وكذلك هاجر الساميون إلى بلاد الحبشة حين هاجر فريق كبير من عرب الجنوب عن طريق بوغاز باب المندب ، وفى هذه البلاد أقاموا الدوله الحبشية السامية

مواطن الشعوب السامية

على الرغم من وضوح موطنهم المشار إليه آنفا إلا أن العلماء تباينت آراؤهم فى موطن الساميين الأصلى . وإليك كلمة موجزة عن هذه الآراء

١ — يرى فريق من العلماء أن الموطن الأصلى للساميين هو أرمينية بالقرب من حدود كردستان الحاليه .

وممن قال بهـذا الرأى « رينان » الفرنسى و « نولدكه » الذي يذهب إلى القول بأن هذه المنطقة هى الوطن الأصـلى للشعوب الساميه وكذلك الشعوب الهندية الآرية ومنها هاجر الجميع إلى الاماكن الجديدة فى جميع أنحاء المعمورة.

أدلة القائلين بهذا الرأى :

استدل القائلون به بأدلة مستفادة من التوراة وما نقل عن أحبار اليهود .

ولـكن هذا الرأى مردود لأن هذه الأدلة ليست يقينية لأنها كما قلنا مأخوذة من سفر التكوين ومؤلفه كان لا يعتمد على أشياء يقينية بل كان يعتمد على الرواة دون التحقق من صدقها .

٢ — ويرى فريق آخر أن جنوب العراق كان الوطن الاول للساميين ، وعلى رأس القائلين بهذا الرأى « جويدى » الإيطالى .

الأدلة : اعتمد جويدى على عدد من الكلمات وجدها متحدة فى

جميع اللغات السامية وهى ذات معان مرتبطة ارتباطا وثيقا بتلك المنطقة

وهذا الرأى أيضا لا يمكن قبوله لأن اتحاد عدة كلمات فى اللغات السامية ، وارتباط معانيها بتلك المنطقة بالذات لا يمكن الاعتماد عليه ورد على هذا الرأى بعض العلماء مثل « نولدكه » وضرب فى ابطال ذلك عدة كلمات مثل : شيخ ، خيمة ، أسود .

هذه الكلمات وغيرها كثير ليست متحدة فى جميع اللغات السامية مع أنها كانت بالقطع موجودة عند الساميين حينما كانوا أمة واحدة[1]

٣ — يرى بعض العلماء أن شمال افريقيا مصر وما حولها كان الموطن الأصلى للسامين للتشابه الخلقى بين الحاميين والساميين ، ولقد هاجر الساميون عن طريق بوغاز باب المندب .

وهذا الرأى ضعيف مردود لا يمكن الأخذ به أيضا لعدم مطابقته للواقع لأن التاريخ يذكر أن هجرة الساميين كانت من جزيرة العرب إلى أفريقيا لا العكس .

٤ — الرأى الرابع وهو أرجح الآراء وأقواها ، ومؤدى هذا الرأى أن جزيرة العرب من غير تعيين لمكان منها كانت الموطن الأول للساميين جميعا .

ويستدل على هذا الرأى بعدة أدلة : منها أن التاريخ القديم صرح بخروج كثير من الأمم السامية من شبه الجزيرة العربية على شكل موجات ، وأن هذه الهجرات كانت تحدث كل ألف سنة تقريبا ، وأن أولها هجرة الساميين إلى بابل فى حوالى القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد .

---

(١) تاريخ اللغات السامية لميرائيل ديلفنسون ص ٥

والثانية هجرة الكنعانيين فى القرن السادس والعشرين .

والهجرة الثالثة فى القرن السادس عشر إلى بابل حيث أرض المهاجرين الأول ، وفى القرن السادس هاجر قوم من الحجاز إلى الشام ، وآخر هذه الهجرات كانت عند ظهور الاسلام مع الفتوحات الإسلامية .

وعلى رأس القائلين بهذا الرأى المورخ الانجليزى سايس وشرايدر الألمانى ، وشيرنجر الألمانى و « رايت » الانجليزى .

ولقد أدى القول بهذا الرأى عدول كثير من الذين قالوا بالآراء السابقة واعتناقهم له نظرا لاعتماده على أدلة قوية تكاد تكون قاطعة .

مميزات اللغات السامية

تمتاز اللغات السامية بمميزات تميزها عما عداها من اللغات وبخاصة الفصيلة الهندية الأوربية ، وهذه المميزات تتعلق ببنية الكلمة والتصريف والاشتقاق والاعراب وطرق التعبير وتنوع الأساليب .

وإليك هذه المميزات بإيجاز :

١ — هذه اللغات تضم مجموعة من الحروف الحلقية ، وهى الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء .

٢ — أغلب مواد هذه اللغات ثلاثى .

٣ — تغيير الحركات فى أول الكلمة أو فى وسطها يؤدى إلى تغيير المعنى فالفرق واضح بين ضَرَبَ وضُرِبَ وضَرْب ... الخ

٤ — الأسماء والصفات فى هذه اللغات لها حالتان من حيث النوع وهما حالة المذكر وحالة المؤنث ، وللمؤنث علامات تدل عليه وتلحق

بآخر الكلمة وهى تاء التأنيث وألف التأنيث المقصورة والممدودة كما فى لغتنا العربية .

٥ — وجود حالتين للفعل هما : حالة الماضى والمضارع ، وأما الأمر والاستقبال فهما مأخوذان من المضارع .

٦ — وجود طرق مفصلة لإعراب الاسم والفعل .

٧ — لا توجد فى هذه اللغات الأفعال المركبة إلا ما كان مأخوذا من اللغات الأخرى مثل كهرب وزكشر فهما مأخوذان من الفارسية .

فالكلمة الأولى مأخوذة عن كلمتين هما : كاه أو كه بمعنى تبن ، والثانية : ربا بمعنى جاذب ، فأصل كهرب جاذب تبن .

وقلما توجد الأسماء مركبة فى هذه اللغات مثل الصيغ التى تبدأ بالميم الزائدة مثل : مُكْرِم ومُكْرَم فأصل الكلمة الأولى من يكرم والثانية من يكرم ، وبمرور الزمن حذفت النون ثم حذفت الياء ونقلت حركتها إلى الميم ، وأصل مكتوب ماكتوب (ما) بمعنى الشىء الذى و (كتوب) اسم مفعول أى فعول بمعنى مفعول .

فلما انضمت الكلمتان صار المعنى ما كتب أى الشىء الذى كتب أى المكتوب . وتوجد فى بعض هذه اللغات أعلام مركبة تركيبا مزجيا مثل بعلبك . وتركيبا إضافيا مثل : عبد الرحمن ، عبد الله ، واسناديا مثل : تأبط شرا .

٨ — توجد فى هذه اللغات ضمائر المتصلة المنفصلة مثل : إياى وإيانا وإياك .. الخ .

وتلحق ضمائر المفعولية المتصلة وضمائر الإضافة بأواخر الكلمات مثل : أكرمتك وهذا طعامك .

٩ — توجد فى هذه اللغات أيضاً صيغ الزيادة فى الأفعال مع دلالة كل صيغة على معنى ولكل صيغة من هذه الصيغ ماض ومضارع وأمر واسم فاعل واسم مفعول ... الخ .

١٠ — وجود طرق مبسطة لربط الجمل بروابط واضحة محددة المعنى مثل : الفاء تدل على الترتيب والتعقيب وثم للترتيب والتراخى وإن وأن للتوكيد ، ولكن للاستدراك وليت للتمنى ولعل للترجى وكأن للتشبيه . الخ .

وبعد أن وقفنا على موطن اللغات السامية وتبين لنا خصائص ومميزات اللغات السامية نتحدث الحديث عن أهم هذه اللغات فيما يلى :

اللغة الأكادية

(البابلية والأشورية)

هاجر الساميون إلى العراق على فترات متوالية منذ عصور ضاربة فى القدم ويظن أن أقدم هجرة سامية إلى هذه البلاد كانت حوالى القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد .

ولعل السبب فى هذه الهجرة وما يتبعها من هجرات سامية أخرى هو ضيق الجزيرة العربية وعدم قدرتها على استيعاب سكانها المتزايدين باستمرار وفضولها عن تقديم ما كانوا يحتاجون إليه من قوت لهم ولأنعامهم .

ولما انتقل الساميون إلى بلاد العراق فى هذه الفترة استقروا فى القسم الجنوبى ولم تكن هذه البلاد خالية من السكان بل كان بها شعب يسمى الشعب الشومرى لا يعرف إلى أى الفصائل ينتمى فهو شعب مجهول الأصل ، ويظن أنه من أصل صينى ولقد بلغ هذا الشعب درجة رفيعة من الرقى والحضارة فى شتى شئون الحياة وكان له لغة راقية ذات آداب وأسلوب خاص وعرف خطهم والذى كانوا يدونون به لغتهم عند العرب بالخط المسمارى أو الإسفينى أو السنانى وعرف عند المعربين بالخط الوتدى ، نظراً لأنهم كانوا يدونون ما يشاءون بأقلام معدنية حادة على ألواح من الطين تجفف بالنار بعد الكتابة عليها .

وقد تطورت كتاباتهم حتى صارت تتكون من خطوط أو أشكال مخروطية تشبه المسامير أو الأوتاد أو الأسنة تختلف اتجاه أطرافها المستقيمة فتكون إلى أعلى أو إلى أسفل أو إلى اليمين أو إلى اليسار ، ومن هنا أطلق عليها الأسماء سالفة الذكر .

ولقد تغلب الساميون على هؤلاء القوم وأقاموا فى تلك البقعة المسماة ببلاد أكاد كما كان يسميها السومريون وأما السكان الأصليون فلقد قبعوا فى الجنوب حتى الخليج العربى فترة من الزمن .

وأقام الساميون أول حضارة سامية فى هذه البلاد واتخذوا بابل عاصمة لهم ونسبت إليها الحضارة البابلية كما سموا هم باسم البابليين .

وتلت هذه الهجرة هجرة سامية أخرى فى حوالى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد إلى هذه البلاد واستقرت فى الشمال حيث مدينة أشور فى بداية الأمر ثم اتخذوا مدينة « نينوى » عاصمة لهم .

واشتهر هؤلاء باسم الأشوريين وعرفت دولتهم باسم الدولة الأشورية.

واشتبكت لغات الساميين فى الشمال والجنوب مع لغة البلاد الأصلية وهى اللغة الشومرية أو السومرية فى صراع لغوى أدى إلى انتصار اللغات السامية وهى البابلية والأشورية على لغة البلاد الأصلية وهى اللغة السومرية .

إلا أنه على الرغم من ذلك فلقد بهرت حضارة المغلوبين أعين الغزاة الفاتحين فاقتبسوا بعض مظاهرها ، وأقام الفاتحون كما قلنا أقدم حضارة سامية فى الشرق وبلغت أوج عظمتها فى عهد سرجون الأول المتوفى حوالى ٢٧٥٠ ق م وكانت الدولة الأشورية خاضعة للدولة البابلية فى بادىء الأمر ثم انفصلت عنها وأنشأت دولة قوية استمرت إلى أن سقطت « نينوى » ٦٦٠ ق . م وقامت على أنقاضها دولة بابلية ثانية سميت باسم الدولة الكلدانية والتى كان يحتضر من أعظم ملوكها ولم تعمر هذه الدولة طويلا بل سقطت على يد « كورش » الفارسى ٥٣٩ ق . م .

ومنذ أوائل القرن الثانى عشر قبل الميلاد أخذ الأراميون يغيرون على العراق بقوة وعنف إلى أن سقطت هاتان الدولتان وتغلبت اللغة الأرامية على اللغتين البابلية والأشورية وحلت الدولة الأرامية محل الاكاديين ولم تبق اللغة الاكادية بشقيها إلا بين المثقفين من رجال الدين والأدب اتخذوها وسيلة لتدوين مؤلفاتهم .

وكان من الطبيعى أن يتأثر البابليون والأشوريين سكان البلاد الأصليين وأن يأخذوا عنهم بعض الظواهر اللغوية .

وظهر هذا التأثر فى الأمور التالية :

١ — المفردات : فلقد اقتبس الساميون عن السومريين طائفة كبيرة من مفردات لغتهم وخاصة التى لم يكن لها نظير فى لغتهم ، وهى الألفاظ الدالة على أمور تمتاز بها الحضارة السومرية .

٢ — تحريف الألفاظ : فكثير من الألفاظ الأصلية للغة السامية الأصلية انتابها كثير من التحريف فى ألسنة المحدثين القاطنين بها من السكان الأصليين الذين أخذوا يقلدون الفاتحين فى لغتهم ويندمجون بهم ، فانحرفت الأصوات عن مواضعها وتشكلت بالصورة التى تتلاءم مع مخارج نطقهم .

٣ — اهمال بعض الحروف من الابجدية السامية .

فلقد سقطت بعض الحروف من الأبجدية وأصبحت الأبجدية الاكادية لا تشمل سوى ثمانية عشر حرفا فقط وهى :

أ — ب — ج — د — ز — ح — ط — ك — ل — م — ن — س — ف [1] — ص — ق — ر — ش — ت .

وسقطت الحروف التالية :

الضاد والظاء وحروف الحلق لم يبق منها سوى الهمزة والحاء وحذفت الواو والياء فى أول الكلمة واستبدل بهما الهمزة فيقولون فى ولد مثلا ألد .

٤ — طريقة رسم الحروف والمقاطع الهجائية والنطق بها .

فلقد كان البابليون والاشوريون يكتبون بالخط المسمارى سالف الذكر ، ومن هنا يميل العلماء إلى أن عدم وجود الحروف التى سقطت

---

(١) تنطق الفاء أ فى الخط المسمارى

من الابجدية السامية سببها هو ضيق هذا الخط عن تمثيل هذه الأصوات (١)

٥ — مخالفة المسمارى لبقية الخطوط السامية حيث يكتب من الشمال إلى اليمين .

٦ — التوسع فى أزمنة الفعل فقد استخدموه للدلالة على ثلاثة أزمنة بدلا من اثنين الأول والثانى الماضى والمستقبل (المضارع) ويدلان على ما يدلان عليه فى اللغات السامية الأخرى ، والثالث فعل الاستمرار ويدل فى البابلية على أن الفعل قد وقع أو يقع أو سيقع على سبيل الاستمرار .

ولقد ظلت اللغة الاكادية محتفظة ببعض مظاهر الأعراب والتى كانت — كما يظن — أخص خصائص اللغة السامية الأولى والتى تخلصت منها جميع اللغات السامية عدا اللغة العربية وعلامة الإعراب فى اللغة الاكادية الضمة والكسرة فقط .

ولقد تأثرت اللغات السامية الأخرى باللغة الاكادية حيث أخذت عنها أسماء شهور السنة الاثنى عشر وهى :

نيسان . آيار . حزيران . تموز . آب . أيلول . تشرين الاول . تشرين الثانى . كانون الاول . كانون الثانى . شباط . آذار .

ما سبق كان بعض ملامح اللغة الاكادية ، وهنا تجدر الإشارة إليه

---

(١) راجع تاريخ اللغات السامية لبروكلمان ويافيدون ص ٣٩ .

أن لغة البابليين كانت تشبه لغة الأشوريين إلى حد بعيد ولقد نشأ عنهما لهجات لا تختلف عنهما ، ومن هنا اصطلح العلماء على أن يطلقوا على اللغتين معا وعلى ما تفرع منهما من لهجات اسم اللغات الاكادية .

على أنهم كانوا يطلقون البابلية على لغة البابليين إبان سيطرتهم والأشورية على اللغة الأشورية إبان سيطرة الأشوريين على الحكم .

اللغة الفينيقية

الكنعانيون قبائل سامية هاجرت من شبه الجزيرة العربية حوالى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد .

وبعض المؤرخين يعتقد أنهم هاجروا من شبه الجزيرة العربية حوالى القرن السابع عشر قبل الميلاد .

وعلى أية حال فكنعان اسم أحد أبناء حام كما ورد فى سفر التكوين كما يطلق هذا الاسم على المنطقة الممتدة على ساحل البحر الأبيض من مصب نهر العاصى إلى الجنوب وكان يشمل سوريا وفلسطين

ولا يذكر لنا التاريخ شيئا عما كان يسكن هذه البقعة قبل الكنعانيين ، وعلى كل فلقد مال بعض المؤرخين إلى أن هذه البقعة كان يقطنها أناس مجهولون لأنه لا يعقل أن تكون خالية وهى الطريق التجارى بين العراق شرقا ومصر غربا والأناضول شمالا .

كما يذكر التاريخ أن مدن : القدس : صيدا . صور . حيفا كانت موجودة قبل الكنعانيين .

وأطلق مؤرخو اليونان اسم الفينيقيين على أول من عرف التاريخ من الشعوب الكنعانية ، ويميل بعض المؤرخين المحدثين أن الفينيقيين

كانوا من الساميين الذين سكنوا جزيرة العرب على سواحل المحيط الهندى والخليج العربى ، ويستدلون على هذا بأن اسم الفينيقيين مشتق من كلمة أغريقية معناها النخيل ، وهذه تنطبق على هذه الأماكن التى كانوا بها قبل أن يهاجروا ، ولا تنطبق على الأماكن التى استقروا بها وهى بلاد الشام .

ولقد خضع الفينيقيون لحكم مصر فى الفترة ١٦٠٠ — ١١٠٠ ق م وحصلوا على استقلالهم بعد وفاة رمسيس الثانى ١٢٩١ — ١٢٢٥ ق م

والفينيقيون يشتهرون بركوب البحار فكانوا تجارة مهرة نظراً لإقامتهم على السواحل ونظراً لتوفر أشجار الأرز فى بلادهم ومنها كانوا يصنعون السفن .

وكانوا يقومون برحلات مختلفة كان من نتيجة هذه الرحلات تكوين بعض المستعمرات الفينيقية فى جزر البحر الأبيض وعلى سواحله الشمالية والجنوبية ، وكان من أشهر هذه المستعمرات قرطاجنة والتى أصبحت عاصمة للدولة الهونية وقد بلغت أوج عظمتها فى القرن الثالث والرابع قبل الميلاد واشتبكت فى حروب مع الرومان مكثت مدة طويلة تحت قواد أشداء أشهرهم هنيبال العظيم وكان النصر النهائى للرومان سنة ١٤٦ ق . م وعلى أية حال فلقد مكثت هذه الحروب من ٦٤٢ : ١٤٦

ومعلوماتنا عن اللغة الفينيقية قليلة إذا ماقيست بأخواتها الساميات ويرجع ذلك لقلة النصوص التى خلفها الفينيقيون ، وعلى أية حال فلقد كان الفينيقيون يتكلمون بلهجة سامية لم تمكث طويلا حتى استقلت وأصبحت ذات طابع خاص سميت باللغة الكنعانية ولقد عرفت عن

طريق عدة نقوش أقدمها نقش على تابوت الملك « أحيرام » والذى اكتشفه عالم فرنسى ١٩٢٣ م فى مدينة جبيل ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

ونقش آخر لملك يدعى « أبى بعل » ملك جبيل أيضا وقد وجد هذا النقش على تمثال شيشنق ملك مصر ، ونقش آخر من ملوك جبيل اسمه « إيلى بعل » ويرجع تاريخ النقش إلى القرن العاشر قبل الميلاد .

ومما يجدر الاشارة إليه أن للفينيقيين الفضل كل الفضل فى اختراع الأبجدية الصوتية الهجائية التى وضعت لكل صوت من أصوات اللغة علامة خاصة .

ومن هذه الأبجدية تفرع سائر الأبجديات فى العالم أجمع شرقه وغربه وأقدم شكل لهذه الأبجدية عثر عليه حتى وقتنا الحاضر ما كشف فى ١٩٣٦ م فى « رأس شمر » قرب مدينة اللاذقية على الساحل السورى .

ويرجع تاريخ هذه الأبجدية الأوغاريتية إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

والأوغاريتية نسبة إلى المدينة الكنعانية القديمة والتى جرى التنقيب فى أطلالها وكان الفينيقيون يقتصرون فى كتاباتهم على الحروف الساكنة ويهملون الحركات وهى أصوات اللين القصيرة من ضمة وكسرة وفتحة شأنهم فى ذلك شأن جميع الساميين .

واللغة الفينيقية قريبة الشبه بالعبرية القديمة ولا تختلف عنها إلا فى أمور قليلة كيفية النطق ببعض الحروف والحركات . وفى أسلوب تكوين الجمل .

وقد ظلت الفينيقية تستعمل فى كنعان وغيرها حتى صرعتها اللغة الآرامية — القرن الأول قبل الميلاد .

ولقد تفرع من اللغة الفينيقية عدة لهجات محلية أشهرها اللهجة البونية والتى استعملت فى قرطاجة ولقد كشفت عدة نقوش لهذه اللهجة يرجع أقدمها إلى القرن الرابع قبل الميلاد وأحدثها إلى ما قبل سقوط قرطاجة فى أيدى الرومان حوالى سنة ١٤٦ قبل الميلاد .

وقد قضت البونية على البربرية فى شمال أفريقيا ، وقضت أيضا على اللغة اللاتينية لغة الرومان المستعمرين لهذه المنطقة .

ولقد تطورت منها لهجة حديثة بعد الفتح الرومانى تسمى بالبونة الحديثة ويقال إنها ظلت فى بعض المناطق حتى قضت عليها اللغة العربية بعد الفتح الإسلامى فى القرن السابع الميلادى .

اللغة العبرية

العبريون جملة شعوب يتصل نسبها إلى إبراهيم الخليل عليه السلام وهم بنو يعقوب وبنو اسماعيل وبنو مدين ، والعمالقة وآل آدوم وأهل مواب وآل عمون : ولكن إذا أطلقت كلمة العبرانيين فلا تنصرف إلا إلى أبناء يعقوب وحدهم أى بنى إسرائيل .[1]

ولقد اختلف العلماء فى معنى كلمة عبرى إلى ثلاثة آراء هى :

١ — ذهب البعض إلى أنها كانت لقبا لابراهيم عليه السلام بعد أن عبر النهر .

٢ — أنها نسبة إبراهيم إلى أحد أجداده الذى عرف باسم عبر .

٣ — هذه الكلمة تدل (فى اللغتين العربية والعبرية) فى أصل اشتقاقها

---

(١) فقه اللغة د . على عبد الواحد وافى ص ٥٥ .

على الرحلة والتنقل والارتحال ، وأطلقت على العبريين لأنهم كانوا بدوا رحلا لا يستقرون فى مكان . وهذا أرجح الآراء .

ولقد نزح بنو إسرائيل من شبه جزيرة سيناء وشمال الحجاز وأغاروا على بلاد كنعان ، واستولوا على جزء كبير منها واستقروا بفلسطين فى حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ومع أنهم دخلاء على هذه البلاد فان لغتهم تتفق فى معظم مظاهر الصوت والقواعد وأصول المفردات وتؤلف معها شعبة واحدة كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

ولم تعرف اللغة العبرية بهذا الاسم فى الأزمنة القديمة ، فصحف العهد القديم تسميها باللغة اليهودية وأحيانا باللغة الكنعانية ولم تعرف باسمها هذا إلا بعد السبى البابلى وكانت تسمى إلى جانب هذه التسمية باللغة المقدسة وقد مرت اللغة العبرية بمراحل كثيرة تأثرت فى كل منها بمؤثرات أهمها الشئون السياسية وما طرأ على وحدة بنى إسرائيل وعلاقتهم بالشعوب الأخرى وترجع هذه المراحل إلى عصرين :

العصر الأول .

يبدأ حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وينتهى إلى أواخر القرن الرابع ق . م ، وينقسم هذا العصر إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى :

فى هذه المرحلة كان بنو إسرائيل يتمتعون بالاستقلال الكامل وهذه المرحلة تمثل العصر الذهبى للغة العبرية وفى هذه المرحلة دونت معظم أسفار الكتاب المقدس وتنتهى هذه المرحلة بما يسمى بالسبى البابلى فى ٥٨٧ قبل الميلاد حيث أغار بختنصر ملك بابل على فلسطين وأسر عدداً كبيرا من الإسرائيليين

ونفاهم إلى بابل ، ولم يخلصهم من الأسر البابلى إلا كورش الفارسى الذى أغار على بابل فى ٥٣٩ قبل الميلاد وأطلق سراحهم .

المرحلة الثانية :

وتبدأ هذه المرحلة من السبى البابلى سنة ٥٨٧ قبل الميلاد وتنتهى بانقراض اللغة العبرية من التخاطب فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وتغلب اللغة الأرامية عليها وحلولها محلها فى التخاطب ، وأصبحت اللغة فى عداد اللغات الميتة ، ولقد ساعد على ذلك تفكك بنى إسرائيل وانحلال سلطانهم السياسى فى هذا العصر .

وأهم ماوصل إلينا فى هذه المرحلة بعض أسفار العهد القديم التى دونت فى هذه المرحلة وبعض آثار أدبية أخرى تعد أرقى ماوصل من هذه اللغة ومنها يظهر تأثر العبرية بالأرامية تأثرا واضحا .

العصر الثانى :

وينقسم إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : وتسمى العبرية فيها بالعبرية التلمودية لأن التلمود أسمى ماوصل إلينا فى هذه المرحلة وهو عبارة عن المشنا وشروحها ، والمشنا عبارة عن المؤلفات فى الدين والتاريخ والقانون باللغة العبرية ثم شرحت فى الجمارا باللغة الأرامية .

وتنتهى هذه المرحلة بفاتحة العصور الوسطى .

المرحلة الثانية : وتبدأ بفاتحة العصور الوسطى حتى العصر الحاضر وتسمى العبرية فى هذه المرحلة بالعبرية الحديثة ويظهر تأثر العبرية باللغة

العربية واللغات الأوربية الحديثة ، فلقد نقل علماء اليهود المؤلفات العربية إلى العبرية فزادوا بذلك ثروة لغتهم .

وعلى أية حال فلقد خضعت اللغة العبرية بعد السبى البابلى لمؤثرات عنيفة وأدت هذه التأثيرات جميعها إلى مارأيت من ضياعها من المحادثة إلى لغة ميتة لاتستعمل فى الحياة العامة لأن اليهود أنفسهم تركوها إلى اللغة الارامية .

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر عمل اليهود فى جميع أرجاء العالم على إحيـــاء اللغة العبرية من جديد وعلى الاخص فى أوربا الشرقية وساعدهم على ذلك احتلالهم لفلسطين وإنشاء مايسمى باسرائيل فى الاراضى المحتلة ، وعملوا على نشر لغتهم واستعمالها فى الأدب والكتابة والصحافة والاذاعة وجميع المجالات واستعاروا كلمات كثيرة من جميع اللغات التى كان لهم بها اتصال واحتكاك .

هذا وقد كتبت العبرية بخطين : خط قديم مشتق من الخط الكنعانى ويسمى بالخط العبرى وظل إلى السبى البابلى ، ثم خط حديث يشبه الخط الارامى واستعمل هذا بعد السبى البابلى وعرف بالخط الاشورى والمربع وهو المستعمل للآن .

اللغة الأرامية

تنسب اللغة الارامية إلى الأراميين الذين ينسبون إلى آرام بن سام وكانوا يقيمون في الجزء الشمالى الشرقى من جزيرة العرب ، ومن هذه المنطقة أخذوا يغيرون على العراق وسوريا ، ويرجح أن السبب فى توالى

إغاراتهم على هذه البلاد هو قيام بعض الدول اليمنية فى الجنوب، كالدولة المعينية والسبئية والحضرمية مما جعلهم يرحلون من هذه الأماكن إلى أماكن أخرى ينعمون فيها بالاستقرار .

ولقد استقروا فى جنوب العراق وأقاموا لهم دولة هناك ثم بعد فترة زحفوا إلى الشمال إلى أشور واشتدت إغاراتهم عليها فى أوائل القرن الحادى عشر قبل الميلاد .

وكما هاجر هذا الفريق إلى العراق هاجر من قبل فريق آخر من الاراميين إلى سوريا فى حوالى القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

ولم يكن الفتح الأرامى لكل من العراق وسوريا اجتياحا بقدر ما كان تسللا بطيئا جدا .

ولقد استغرق ذلك قرونا طويلة ، ومع ذلك سيطر الاراميون على جميع هذه المناطق سيطرة تامة رغم المقاومة التى وجدوها من الاشوريين والبابليين ، والكنعانيين وأصبح لهم اليد الطولى فى كل شىء ، كما أضحت اللغة الأرامية لغة جميع هذه المناطق ، تستعمل فى كل شىء فى الأدب والكتابة والمحادثة .

ولم يقتصر نفوذ الاراميين على العراق وسوريا وفلسطين بل امتد إلى مملكتى « تدمر » و « الأنبا » .

وأدى انتشار الأراميين فى هذه البقعة الشاسعة إلى تفرع اللغة الارامية إلى مجموعتين هما :

المجموعة الارامية الشرقية : وتشمل العراق شمالا وجنوبا .

والمجموعة الغربية : وتشمل الشام وشبه جزيرة سيناء وتسمى الارامية الغربية .

ومواطن الارامية الشرقية بالتحديد شرقى الفرات والارامية الغربية موطنها الأماكن التى تقع غرب الفرات ، ولقد اختلفت كل منهما عن الأخرى نظرا لاختلاف طبائع المتكلمين بهما وتباين منازلها فى عدة أمور هى :

١ — الاختلاف فى هيئة النطق ببعض الحروف الساكنة والحركات اللينة .

٢ — الاختلاف فى حرف المضارعة فى المضارع المسند إلى المفرد الغائب .

ففى الارامية الغربية ياء كما فى اللغة العربية وفى الارامية الشرقية نون .

٣ — الاختلاف فى تعريف الاسم ، فأداة التعريف فى الارامية ألف مد تلحق آخر الاسم وفى الارامية الشرقيه تغيرت وظيفتها وأصبحت لاتدل على تعريف .

ولقد أدى احتكاك الارامية الشرقيه باللغة الفارسية ، واحتكاك الارامية الغربية باليونانية واللاتينية ، أدى ذلك إلى اختلاف الكلمات الدخيلة فى كل منهما ففى الارامية الشرقيه بدا تأثرها بالفارسية واضحا ، والارامية الغربية ظهر تأثرها باليونانية واللاتينية فى الكلمات الدخيلة .

واللغة التى تفرع منها هذه اللغات تسمى اللغة الارامية الأم وهى التى انحدر منها اللهجات الغربية واللهجات الشرقية .

ويمثل هذه اللغة نقوش على جدران الهيـــاكل وعلى التماثيل والصخور .

وأقدم هذه النقوش يرجع تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد .

ولقد وجدت هذه النقوس فى أماكن متفرقة فى بلاد الشام وآسيا الصغرى وشمال الجزيرة العربية ومصر وأفريقيا الشرقية ومع ذلك لايستطيع أحد أن يقطع برأى فى قواعد هـــذه اللغة التى انحدر منها جميع اللهجات الارامية كما لايستطيع معرفة هيئة النطق بحروفها وحركاتها .

وإليك موجزا لكل من لهجات المجموعتين :

أولا : لهجات الأرامية الغربية :

١ — الارامية القديمة التى تفرع منها سائر اللهجات .

٢ — أرامية العهد القديم .

٣ — الارامية المصرية .

٤ — التدمرية : وتنسب إلى التدمريين وهم بطون من القبائل الآرامية والتى كونت لنفسها دولة قوية وبلغ أوج مجدها بين سنتى ١٣٠ — ٢٧٣ بعد الميلاد .

وكانت اللهجة التدمرية متأثرة بالأغريقية كما تأثرت بالعربية فى

أعلام خاصة مثل زبيد ومقيم وأذينة ووهب

٥ — النبطية . وتنسب إلى النبط وهم مزيج من الأراميين والعرب في أرجح الآراء ، ولقد استقروا في طور سيناء ، وتعد هذه اللهجة مزيجا من الأرامية والعربية ولكن الارامية أغلب ، واتخذوها لغة لهم لأنها في ذلك الوقت لغة الحضارة عند جميع أمم هذه المنطقة المتسعة من العالم (١) .

٦ — الأرامية الحديثة وقد وصفت بالأرامية الفلسطينية السورية الحديثة وهي مقطورة عن أرامية العهد القديم .

وانقرضت هذه اللهجات منذ القرون المسيحية الأولى حتى اللهجات الحديثة التي كانت آخرها انقراضا حيث قد بقيت لغة كتابة ودين حتى القرن السابع الميلادي حيث دفنت عليها اللغة العربية .

ولكنها بقيت بعد ذلك لغة تخاطب حتى القرن السابع عشر بعد الميلاد في بعض الجهات السورية وخاصة المناطق الجبلية من لبنان .

ثانيا : لهجات الأرامية الشرقية :

تفرعت الأرامية الشرقية إلى اللهجة الأرامية اليهودية وكان يلهج بها اليهود في المنطقة التي تقع إلى الجنوب من بابل .

٢ — اللهجة الأرامية في شمال العراق :

وهي التي كانت تستعمل في المنطقة التي تعرف باسم حران في الشمال الغربي من العراق .

٣ — اللهجة السريانية :

وكانت في منطقة أوديسا أو الرها واسمها في الوقت الحاضر أورفا

(١) تاريخ اللغات السامية ص ٣٥

والسريانية اسم أطلقه الأغريق على الاراميين، وقد سر الاراميون المسيحيون ورحبوا به وفضلوا أن يعرفوا به بدلا من اسمهم الأول الذى كان يذكرهم بأيام وثنيتهم .

ولقد انقرضت هذه اللهجات جميعها حيث تغلبت عليها اللغة العربية فى القرن السابع بعد الميلاد وخلفت من ورائها لهجات حديثة أشهرها لهجة سريانية لا تزال حية إلى وقتنا الحاضر ويتحدث بها عدد قليل من سكان سوريا ولا سيما فى قرية معلولة القريبة من دمشق .

اللغات الحبشية السامية

منذ أمد بعيد لا يمكن تحديده نزحت قبائل سامية من اليمن إلى الحبشة وأسست هذه القبائل ملكا عاصمته مدينة « أقوم »

وكانت هجرة هذه القبائل من قرية أسمها « حبشك » كما ورد فى النقوش السبئية ومن هنا أطلق على المهاجرين الأحباش وعلى المكان الذى انتقلوا إليه الحبشة .

وكانت أولى القبائل التى هاجرت إلى الحبشة تسمى بالجعزية ومعنى اسمهم الأحرار ، وكانت لغة هذه القبائل سامية شديدة الشبه باللغة السامية وأطلق عليها اسم « اللغة الجعزية » وهى لغة سامية لأنها تنتمى إلى الفرع الجنوبى للغات السامية والذى يشمل العربية الشمالية والعربية الجنوبية .

ولاحظ العلماء أن هذه اللغة حافظت على عناصر سامية قديمة ولم يبق لها أى أثر فى اللغات السامية الأخرى ولا سيما فى الأشورية .

فاللغة الجعزية قديمة فى تراكيبها ونظامها ومفرداتها [illegible]

على أن الجعزية حافظت على أقدم الصور السامية على حين قد ضاعت من غيرها .

من ذلك عدم التمييز بين المذكر والمؤنث فى الأسماء [١] ، وكان خطها أشبه بالخط السبئى ، وقيل إنه مشتق منه .

ويمثل اللغة الجعزيه عدة نقوش وجدت فى مدينة أقسوم العاصمة .

وأشهر هذه النقوش .

١ — نقش الملك « عيزانا » وهو أقدم الكتابات الجعزية دون بحروف سبئية . ويرجع تاريخه إلى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى .

٢ — نقش الملك « الاعميدا » ملك أقسوم وسبأ وحمير وغيرها وفى هذا النقش أخذ الخط الجعزى يتحرر من تأثيره من الخط السبئى وأخذت تستعمل كلمات ليست موجودة فى اللغات السامية مثل «نجوس» بمعنى ملك . وكلمة « ولد » بسكون اللام بدل فتحها .

اللغة الامهرية

فى حوالى القرن الحادى عشر ظهر فى الحبشة عنصر جديد أخذ يناوىء الجعزيين حتى أمكنه أن يتغلب على الجعزيين وينتزع منهم الملك فى سنة ١٢٧٠ ميلادية وكون لنفسه مملكة جديدة على أنقاض الحكم الغابر ، تحت أسرة تدعى نسبا يرقى إلى سليمان عليه السلام ، وتسمى هذه الأسرة ، الأسرة الأمهرية ، وعرفت أسرتها بالسلمانية .

وأخذت اللغة الأمهرية تبعا لذلك تصارع اللغة الجعزية حتى حلت

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص ٢٦٢

محلها من أول الأمر فى مجال التخاطب ، وبقيت اللغة الجعزيه اللغة الرسمية للدولة ، ولغة الكتابة والأدب والدين ، واستمر الحال على هذا الوضع إلى أن غزت البلاد طوائف من المبشرين المسيحيين وترجموا كتب الدين بالأمهرية ، حتى يصرفوا الناس عن الجعزية وفعلا يحقق لهم الغرض الذى ينشدونه وهو ضياع الجعزية من جميع النواحى وبلغ من أمرها أن جهلها رجال الدين أنفسهم وحلت الأمهرية محلها فى جميع الطوائف .

ولكن ما هى الامهرية التى كتب لها الغلبة ؟

الأمهريه عبارة عن لغة سامية فى بادىء أمرها قريبة الشبه باللغة الجعزيه فى بداية نشأتها فى إقليم أمهرة حول بحيرة « تسانا » ولكن سرعان ما تطورت ودخلها العنصر الحامى ، والذى أصبح بعد ذلك هو العنصر الغالب عليها وأصبح العنصر السامى عنصرا مشوها ضعيفا .

من هنا نستطيع القول إنها إلى الحامية أقرب منها إلى الساميةحتى أنها فقدت أحرف الحلق القوية — ع غ خ — وتعير النطق بالكلمات السامية فصيغ بالطابع الخشن وقل عدد حروف الصفير ، وتغيرت صور الضمير ، وامتد التغيير حتى شمل القواعد والأساليب ، وطرق تكوين الجمل .

ومن هنا بعدت الأمهرية عن أخواتها الساميات .

ولما كثر عدد المسلمين الأحباش أخذت اللغة العربية تزاحم الأمهرية ، وما زالت تنازعها السلطان حتى صارت الآن أكثر انتشارا بين المسلمين الأحباش وأصبحت عندهم اللغة الأولى العربية والأمهرية [illegible]

تمثل المركز الثانى بعدها ثم ظهر أمر الأمهريين حتى صارت اللغة الرسمية للبلاد إلى وقتنا الحاضر .

وتوجد فى الحبشة حاليا عدة لهجات يرجع بعضها إلى الجعزية ويرجع بعضها الآخر إلى الأمهرية .

(أ) اللهجة التجرائية :

وهذه اللهجة متفرعة من اللغة الجعزية فى منطقة — أقسوم ، حيث لم تفن فناء تاما بل تفرعت منها هذه اللهجة والتى قاومت الأمهرية مقاومة شديدة نظراً لأن معظم المتكلمين بها من المسلمين الذين تمسكوا بها حتى لا يتكلمون الامهرية وهى لغة المسيحيين والتى عجزت عن أن تتغلب على هذه اللهجة فى هذه المنطقة ويتكلم بهذه اللهجة حوالى نصف مليون منهم سكان أرتريا .

(ب) اللهجة التجرية :

وهذه اللهجة تقع فى شمال المنطقة السابقة ولكنها ليست متحدرة من الجعزية كسابقتها بل يرجع أصلها إلى لغة سامية مجهولة ولكنها قريبة الشبه بالجعزية ويتكلم بها حوالى مائة ألف كلهم مسلمون ، وهم فى المنطقة الساحلية تمتد من مصنوع جنوبا إلى سواكن شمالا .

ويظهر من ملامح هؤلاء أنهم غير ساميين ولكن إسلامهم كان السبب فى عدم تغلب اللغة الأمهرية على لهجتهم هذه .

(جـ) اللهجة الهررية :

وهي لغة أهل هرر ، وهى متفرعة ومتطورة من اللغة الأمهرية وهى فى الأصل حامية ، ولكنها تأثرت أكثر من غيرها باللغة العربية

نظراً لأن سكان هرر يتكونون من عدة قبائل حامية فلغتهم حامية سامية تغلب عليها العنصر السامى العربى ، فرغم أنها متفرعة من الامهرية إلا أنها تأثرت بالعربية تأثيرا بارزا وخاصة فى النواحى الدينية والتجارية وهى تشتمل على جميع حروف الحلق التى هى أخص خصائص اللغة العربية .

(د) اللهجات الجوراجوية :

وهذه عبارة عن مجموعة لهجات متفرعة من الأمهرية أشهرها لهجة « تشاها » فى منطقة جوارج جنوبى مدينة « كواه » موطن الامهرين الأصلى والمتكلمون بهذه اللهجات خليط من المسلمين والمسيحيين والوثنيين.

اللغة العربية

تكون اللغة العربية مع اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية ما يسمى باللغات السامية الجنوبية وذلك لأن صلة القرابة بين اللغة العربية واللغات اليمنية القديمة واللغة الحبشية أقوى كثيرا من صلات القرابة التى تربطها باللغات السامية الشمالية كما يظهر لنا جليا من الموازنة بينهما فى القواعد وأصول الكلمات ، والأصوات وغير ذلك من الظواهر اللغوية .

كما أن صلة القرابة بين اللغات اليمنية القديمة وبين اللغات الحبشية أقوى كثيراً من الصلات التى تربطها باللغة العربية الشمالية ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن اللغات الحبشية تفرعت بطريق مباشر من اللغات اليمنيه كما سبق بيان ذلك ويشمل هذا المبحث الكلام على :

١ — العربية الجنوبية والتى تسمى أحيانا بالسبئية .

٢ — العربية الشمالية وتشمل

(أ) العربية البائدة (ب) العربية الباقية

وتسمى العربية الشمالية أحيانا بالعدنانية .

١ — العربية الجنوبية :

يطلق العلماء على اللغة العربية الجنوبية عدة اصطلاحات وهى : العربية الجنوبية القديمة أو القحطانية أو اللغات اليمنية القديمة وأحيانا يسمونها باسم إحدى لهجاتها فيقولون: المعينية أو السبئية أو الحضرمية .

ويجدر بنا أن نلقى بعض الضوء على تاريخ هذه البقعة التى وجدت بها هذه اللغة حتى نكون على بينة من أمرها لأن اللغة صورة واضحة للناطقين بها .

يذكر المؤرخون أن هذه المنطقة كانت خصبة تنمو فى سهولها الأشجار والنخيل والنباتات والأعناب ومن ثم أطلق عليها مؤرخو اليونان اسم « بلاد العرب السعيدة » وسماها العرب منذ القدم « بلاد اليمن » من اليمن والبركة ، ولا شك أن ذلك يجعلها صالحة للسكنى .

وجغرافية هذه البلاد ووقوعها على السواحل المطلة على البحار تجعلها مهيأة لأن تقوم فيها أكثر من دولة تشتغل بالتجارة وغيرها.

ويذكر لنا التاريخ أن هذه البلاد قامت فيها عدة دول هى :

١ — الدولة المعينية ٢ — الدولة السبئية ٣ — الدولة القتبانية

٤ — الدولة الحضرمية ٥ — الدولة الحميرية

الدولة المعينية

قامت الدولة فى منطقة الجوف وهى منطقة أرضها خصبة وتقع

بين نجران وحضرموت ، وكانت عاصمتها « قرنا » أو « قرنانا »

والراجح أن هذه الدولة عاشت وازدهرت بين ١٣٠٠ و ٦٣٠ سنة قبل الميلاد وكان بيد هذه الدولة زمام التجارة بين الهند من ناحية وبلاد العرب من ناحية أخرى ، فكانوا ينقلون من الهند إلى شمال الجزيرة العربية ، ومن هنا وجدت آثارهم فى جنوبى الجزيرة وشماليها حيث كان لهم بعض المستعمرات الناخية للبلاد الكنعانية .

ولقد وصلت إلينا لغتهم والتى تسمى باللغة المعينية عن طريق نقوش عثر على بعضها فى بلاد اليمن وعلى بعضها الآخر فى الأماكن التى استعمروها فى الشمال .

الدولة السبئية :

يؤخذ مما ورد فى الكتب المقدسة أن الدولة السبئية كانت معاصرة لدولة سليمان بن داود عليه السلام والذى يرجح أنه توفى سنة ٩٧٥ قبل الميلاد وعلى هذا يمكن القول بأن دولة سبأ كانت قائمة فى القرن العاشر قبل الميلاد ويذكر لنا المؤرخون أنها ظلت قائمة حتى ١١٥ قبل الميلاد وكانت عاصمتها « مأرب » التى ينسب إليها سد مأرب والذى يسميه القرآن الكريم « بسد سيل العرم » .

ولقد ورد عن هذه الدولة كثير من الاخبار فى القرآن الكريم فى سورة سبأ وكذلك فى سورة النمل .

ولقد وصلت لنا اللغة السبئية عن طريق نقوش كثيرة عثر عليها حديثا فى بلاد اليمن وخاصة فى منطقة مأرب العاصمة .

الدولة القتبانية :

قامت هذه الدولة فى المناطق الساحلية الواقعة فى شمال عدن وتنسب إلى قبائل قتبان ، ولا يعرف عن تاريخ القتبانيين شيء يذكر سوى أن هذه الدولة اشتبكت فى حروب عديدة مع الدولة السبئية أدى إلى انقراضها واندماجها فى الدولة السبئية .

ولقد وصلت انباؤهم عن طريق بعض النقوش التى عثر عليها فى بلاد الجين .

الدولة الحضرمية :

والدولة الحضرمية هذه لا يعرف شيء عن تاريخها سوى أنها كانت معاصرة للدولة المعينية ثم اندمجت فى الدولة المعينية بعد أن ظلت مستقلة ما يقرب من ثلاثة قرون ، وعلى أية حال فلقد كانت فى المكان المسمى باسمها ، وقد عثر على لغتها الموجودة على بعض النقوش التى اكتشفت فى المناطق الجنوبية لبلاد اليمن .

دويلة حمير :

تنسب هذه إلى جماعات من حمير ظلت تناوئ سبأ السلطان مدة طويلة دون أن تتغلب عليها وبالتالى اشتبكت لغتهم فى صراع مع اللغة السبئية ولكن لم تستطع التغلب عليها فى بداية الأمر كذلك ، واستمر الحال على هذا الوضع حتى طرد الأحباش من اليمن أول مرة سنة ٤٠٠ بعد الميلاد وتولى الحكم فى اليمن أسرة حميرية امتد حكمها حتى سنة ٥٢٥ ميلادية ومنذ ذلك التاريخ أخذت الحميرية فى الظهور فاستأثرت بالنقود الأدبى .

ويجدر بنا أن نفرق بين أمرين هامين : هما الحميرية القديمة والحميرية

الحديثة فالحميرية القديمة شيء والحميرية الحديثة شيء آخر .

فالقديمة لا فرق بينهما وبين اللغات اليمنية القديمة — المعينية ، والسبئية والحضرمية والقتبانية .

أما الحميرية الحديثة فهي متطورة عن الحميرية القديمة تطورا أدى إلى اقترابها من لهجات عرب الشمال حتى صارت بعد تغلب العربية الشمالية عليها إحدى لهجات العربية الشمالية ومنذ ذلك الحين أصبح اللسان اليمني لسانا عربيا خالصا .

وأما اللغات اليمنية القديمة ومنها الحميرية القديمة فبعيدة كل البعد عن العربية الشمالية يدلنا على ذلك الرجوع إلى إحدى نقوش اللغات اليمنية التي وصلت إلينا وهو النقش التالي :

عبارة النقش مدونة بحروف عربية . أما الأصل فمدون بخط المسند :

(١) ب ... وهق ... جنا وصوابت ومحفدت وهجر همو .

(٢) مبرام حسسم وا .. م . م ووسفو وريمو كل جنا هو وصوبت .

(٣) ... جناهو وصو وبتهو ومحفدتهون مريمهو عدى ثرتهو وهدبو هو وهمقن .

(٤) خدعو وهمقبو لحاقهو مصر عتم مبراو مقيح كل ضدقم بن موترم عدى ت .

(٥) ... ن بعم مراديمو عشتر شرقا أشمسهو والال تهمو وباخيل ومقيت . خميس .

(٦) حن يورخن ذ بجرفذ لشبثت وتسعى وثلث ما تم بن يخرف بحض بن أبحض .

ترجمته إلى العربية

(١) .. (واعلو مرة أخرى) السور و ... أبراج مدينتهم .

(٢) بأدوات البناء ووسعوا كل سورها و ..

(٣) وسورها ر .. أبراجها من أعلى إلى أسفل مكان وزبنوها ب . وأبراجها للحراسة .

(٤) وعمروا الخلف « ؟ » على هيئة باب حصن بأحسن أدوات البناء وفن التعمير من أسفل إلى أعلى .

(٥) بمجد سيدهم عشتر لشرق وآلهتهم الشدوس وسائر الآلهة وبحول وقوة الخميس (الجيش) .

(٦) فى شهر ذى قيض من سنة ثلثمائة وست وتسعين بعد سنة مبحوض بن أبحض.

من هذا النقش ومن غيره يتضح لنا أن اللغات اليمنية القديمة مستقلة تمام الاستقلال عن اللغة العربية الشمالية ولكنها تؤلف معها ومع اللغات الحبشية شعبة مستقلة وهى « الشعبة الجنوبية للغات السامية » .

وصلات القربى بين لغات هذه الشعبة واضحة وأقوى كثيرا من صلات القرابة التى تربطها باللغات السامية الشمالية . ومما يجدر الإشارة إليه أن اللغات اليمنية القديمة والتى عثر عليها فى اليمن فى منطقة سبأ وما حولها جنوبى الجزيرة العربية وفى بعض المناطق شماليها قد كتبت بخط مسند على الأحجار والمعادن كالحديد والنحاس والقصدير وعلى النقود والتماثيل وعلى لوحات القبور والمذابح وجدران خرائب الهياكل وأسوار المدن .

هذه اللغات تكاد تكون صورة واحدة للغة واحدة لا نكاد ندرك الفرق بين قديمها وحديثها ، وذلك على الرغم من أن تاريخ هذه اللغات يمتد نحو خمسة عشر قرناً أى حوالى القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد إلى القرن السادس بعد الميلاد .

فلغة هذه النقوش سواء منها المعينى أو السبئى أو الحضرمى أو القتبانى أو الحميرى القديم شديدة التشابه حتى ليمكن القول إنها جميعا لغة واحدة والفرق بين أكبر اثنتين منها وهما المعينية والسبئية لا يتعدى بعض الألفاظ والضمائر إلا أن المعينية تقترب بعض الشيء من اللهجات السامية الشمالية (الأكادية) لأنها تستعمل السين ضميرا للغائب بدلا من الهاء وهذه السين تشبه الشين التى توجد فى الأكادية .

بين العدنانية والحميرية

من المعروف أن لغة اليمن كانت عند ظهور الإسلام تشبه لغة عرب الشمال لدرجة أنه لم يكن من العسير أن يفهم كل من الفريقين الآخر ، أما اليمنية القديمة وتشمل (المعينية والسبئية والحضرمية والقتبانية والحميرية القديمة) فتختلف من العربية العدنانية اختلافا كبيرا يدل عليه ما بين لغة النقوش اليمنية والتى ذكرنا أحدها واللغة العدنانية من فروق جوهرية من عدة نواح .

ومن ثم كان قول من يقول إن لغة حمير ليست من العربية فى شيء قولا صحيحا وكان قول من يرون اتحاد اللغتين أو تقاربهما صحيحا أيضاً .

فمن نظر إلى الحميرية القديمة رأى الرأى الأول كأبى عمرو بن العلاء وابن جنى ومن تبعهما .

ومن نظر إلى الحميرية الحديثة والتى كانت وليدة تطور اللغة اليمنية القديمة رأى الرأى الثانى .

ومن الممكن أن نلخص ما بين العدنانيه والحميريه القديمة من فروق فيما يلى :

أولا : من حيث التنكير والتعريف :

تستعمل الحميرية القديمة الميم للدلالة على التنكير بدلا من التنوين فيقال ملكم أى ملك ، ولم تظهر أداة التعريف فى الحميرية القديمة ولكنها ظهرت فى عصور متأخرة وهى الألف والميم بدلا من الألف واللام وقد ظلت كذلك إلى أن جاء الإسلام ففى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« ليس من امبر امصيام فى امسفر »

فعلامة الجمع فى الحميرية هى الميم كعلامة التنكير ، والسياق يفرق بينهما فيقال ملكم أى ملوك .

ويبدو أن الحميرية قد تأثرت هنا بالعبرية التى علامة الجمع فيها الميم المسبوقة بياء المد ، ويصاغ المثنى فى الحميرية باضافة نون فياء إلى المفرد عكس ما هو متبع فى العربية الشمالية فيقال فى تثنية ملك ملكنى .

ثالثا : من حيث ضمائر الغياب :

الحميريه تستعمل ضميرا واحدا للغائب متصلا كان أو منفصلا وهو « هو »

فيقال : ملكهو بمعنى ملكه وتضاف الميم إلى آخر الضمير المتصل الدال على جماعة الغائبين فيقال : مكهوم بمعنى ملكهم .

رابعا : فى بعض صيغ الزيادة فى الأفعال :

فالهاء فى الحميرية تحل محل همزة التعدية فى العربية ، فيقال : هقنى بمعنى أقنى ، وهذه ظاهرة تشترك فيها الحميريه والعبريه .

خامسا : من حيث إسناد الفعل الناقص إلى واو الجماعة ، فالحميرية لا تحذف لام الفعل الناقص قبل واو الجماعة مثل هقنيوا ، أما المضرية فتحذفها كما هو معروف « أقنوا »

من هنا يتبين لنا بجلاء أن ما اشتهر وتداول عند الباحثين من العرب من أن اللغة العربية واللغة اليمنية تمثلان لهجتين للغة واحدة وأن الخلاف بينهما لا يعدو أمورا يسيرة يبدو بعضها فى الأصوات والمفردات ، وبعضها فى القواعد لذلك كانوا يقسمون العربية قسمين :

١ — العربيه العدنانيه أو المضريه وهى لغه الشمال — الحجاز ونجد وما إليها .

٢ — والحميرية أو القحطانية وهى لغة أهل اليمن .

إن هذا الرأى صحيح فيما يتعلق بلهجات أهل اليمن بعد أن تغلبت العربية الشمالية على ألسنتهم ولكنه غير صحيح فيما يتعلق باللغات اليمنية القديمة ، والتى بينا مدى الفرق والخلاف الواضح بينها وبين العربية الشمالية .

ولقد فطن بعض باحثى العرب إلى ذلك كأبى عمرو بن العلاء وابن جنى كما ذكرنا .

٢ — العربية الشمالية :

تنقسم العربية الشمالية إلى قسمين :

(أ) عربية بائدة أو ما يسمى بعربية النقوش .

(ب) عربية باقية .

وإليك بيان كل :

(أ) العربية البائدة .

تسمى العربية البائدة أحياناً بعربية النقوش نسبة إلى النقوش التى اكتشفت فى شمال الجزيرة العربية وحاول بعض المستشرقين قراءتها واستخراج بعض المعلومات منها وسموها العربية القديمة أو العربية البائدة .

وزمن هذه النقوش يتراوح بين القرن الخامس قبل الميلاد والرابع الميلادى . وأقدم هذه النقوش هو ما عرف بين العلماء باسم « النقوش الثمودية واللحيانيه والصفوية » .

فالثمودية نسبة إلى قبائل ثمود التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم كما ذكر أماكنها أكثر من مرة وقد عثر على بعض هذه النقوش فى المواطن نفسها التى كان العرب يعتقدون أنها أماكن الثمودين .

واللحيانية نسبة إلى قبائل لحيان ، والقبائل الثمودية واللحيانية قبائل عربية قديمة استوطنت شمال الجزيرة العربية .

وعثر على النقوش الثمودية واللحيانية فى شمال الحجاز وتيماء ومدائن صالح (الحجر) والعلاوشبه جزيرة سيناء وأماكن أخرى فى تلك المنطقة.

كما عثر على النقوش الصفوية فى المنطقة الواقعة بين جبل الدروز وتلال أرض الصفا . وقد اعتاد المستشرقون نسبة هذه النقوش للصفاة مع أنها اكتشفت فى المنطقة القريبة منها وذلك اختصارا فى التعبير .

وقد ظلت هذه النقوش غامضة إلى أن ذهب إلى منطقة الصفاة المستشرق الألمانى — « انوليمان » وجمع من منطقة الصفاة أكثر من ١٤٠٠ (ألف واربعمائة نقش) ورجع إلى بلاده وحاول درسها وحل رموزها ومعرفة أبجديتها وألف فى ذلك كتابا سنة ١٩٠١م ولقد لاحظ « ليمان » أن الخطوط الصفوية مركبة من ثمانية وعشرين حرفا كما هى فى العربية .

وخلص من ذلك إلى أن كاتبيها من العرب ليس بينهم وبين القبائل العربية فى الجزيرة العربية فرق كبير ، وقد وجد فى كتاباتهم ألفاظاً تدل على حياتهم الصحراوية ففيها ذكر للغنائم والغزو .

ومما تجدر الاشارة إليه أن النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية ضحلة المادة لا تشتمل إلا على بعض أسماء الاعلام وبعض عبارات قصيرة ، ولغتها متأثرة بالارامية تأثيرا شديدا .

وإليك بعض هذه النقوش :

١ — ذ ن ل ق ض ب ن ت ع ب د م ن ت

وإذا ألحقنا بهذه الأصوات الساكنة أصوات المد التى تتبع بعضها والتى لا يرمز إليها هذا النقش تصير كلماته كالآتى :

ذين لقيض بنت عبد مناة .

وترجمته إلى العربية « هذا القبر لقيض بنت عبد مناة »

٢ — ل ت م ى غ ث ب ن ج ش م ه ع ل

وإذا وضعنا أصوات المد التى أغفلها هذا النقش يصير كالآتى :

لتيم يغوث بن جشم هوعل

وترجمته إلى العربية : « الوعل نتيم يغوث بن جشم » .

٣ — ل ب ر د ب ن أ ص ل ح ب ن أ ب ج ر و ش ت ى ه د و ذ ب ح ف ه ل ت س ل م .

وترجمته إلى العربية « لبرد بن أصلح بن أبجر وشتى (أى أقام فى الشتاء) فى هذا المكان أو فى هذه الدار والهاء فى هدر هى عبارة عن هاء التعريف ودر معناها دار لأن لغة هذه النقوش تهمل أصوات اللين قصيرها وطويلها ومن هذه النقوش الثلاثة نستنتج أن لغتها :

١ — لا تستعمل أداة التعريف الموجودة فى العربية وهى أل وإنما تستعمل الهاء وهى أداة التعريف فى اللغة الحميرية .

٢ — كما أنها لا تستعمل أصوات اللين القصيرة والطويلة فتهمل الفتحة والكسرة والضمة والألف وياء المد وواو المد .

نقوش العربية المبكرة

النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية السالف ذكرها تمثل العربية البائدة أما هذه النقوش فيصر بعض المستشرقين على تسميتها بالنقوش العربية المبكرة ولغتها قريبة الشبه بالعربية الباقية من حيث المادة اللغوية والأسلوب . وهذه النقوش أقرب إلى العربية الباقية من النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية .

ومن الغريب أنها كشفت فى منطقة غير بعيدة من منطقة الصفاة ومع ذلك فالتأثير الارامى فيها أقل من التأثير فى سابقتها .

وهذه النقوش عبارة عن أربعة نقوش وهى نقش النمارة ونقش حوران ونقش أم الجمال .

والخط الذى كتبت به هذه النقوش الأربعة خط نبطى متأخر يشبه الخط السكونى والحروف فيها مرتبطة ببعضها عكس الخط النبطى القديم والذى فيه الحروف غير متصلة ببعضها .

ومن أجل هذا يرى بعض الباحثين فى هذه النقوش من الناحية الشكلية أنها تعد حلقة اتصال بالخط النبطى القديم والذى فيه الحروف غير متصلة ببعضها .

ومن أجل هذا يرى بعض الباحثين فى هذه النقوش من الناحية الشكلية أنها تعد حلقة اتصال بالخط النبطى القديم والخط العربى فى صدر الإسلام .

وإليك هذه النقوش .

١ — نقش النمارة

دون فى عام ٣٢٨ م والنمارة عبارة عن قصر صغير للروم فى الجهة الشرقية من جبل الدروز وبه سميت البلد الموجود بها ، وقد اكتشف هذا النقش فى مدفن امرىء القيس بن عمرو ملك العرب الذى كان يملك الحيرة وامتد نفوذه حتى بادية الشام ، وإليك نصه :

١ — فى نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التيج .

٢ — وملك الأسدين ونزرأ وملكهوم وهرب مزحجوا عكدى وجاء

٣ — بزجى فى حبج بخرن مدينة شمر وملك ومعدو ونزل بنيه .

٤ — الشعوب ووكلهن فرسيو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥ — عكدى هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بسكول يا سعد ذ وولده.

وترجمته كما يلى :

١ — هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى حاز التاج .

٢ — وملك الأسدين ونزارا وملوكهم وعزم مذحجا اليوم وجاء .

٣ — بفنائهم فى مجتمع بجران مدينة شمر ، وملك معدا ونزل بنيه .

٤ — الشعوب ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥ — اليوم هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ من كسول فليسعد الذين ولدهم .

٢ — نقش زبد

وأما نقش زبد فيشتمل على سطرين وهو مكتوب بثلاث لغات وهى اليونانية والعربية الأرامية ويرجع تاريخ كتابته إلى عام ٥١٢ بعد الميلاد، وزبد مكان خرب فى المنطقة الواقعة بين قنسرين ونهر الفرات .

وقراءة هذا النقش غير مؤكدة بسبب وجود كسر فى أوله وإليك هذا النقش بالحروف العربية .

١ — (ينصه) م الاله سرجو برأمت منفو وهنى برمر القيس .

٢ — وسرجو بر سعدو وستر وشريحر بقميمى .

٣ — نقش حوران

ونقش حوران هذا مكتوب بلغتين العربية واليونانية ويقع فى أربعة أسطر .

ونصه بالحروف العربية كما يلى :

١ — أنا شرحبيل بن ظالم بنيت ذا المرطول .

٢ — سنت ٤٦٣ بعد مفسد .

٣ — خيـــبر .

٤ — بعـــم .

وترجمته إلى العربية :

أنا شرحبيل بن ظالم بنيت هذه الكنيسة سنة ٤٦٣ بعد مفسد (انهيار) خيبر بعام « ومفسد خيبر » المؤرخ به هذا النقش يشير إلى ماحدث لهذا البلد على أثر غارة شنها عليه أحد أمراء بنى غسان وانتهت بانهياره وسبى كثير من أهله .

وقد اكتشف هذا النقش فى المنطقة التى تقع شمالى جبل الدروز وهو منقوش على حجر فوق باب إحدى الكنائس هناك ، وقد وصل إلينا قسمه العربى كاملا ولا تختلف لهجته التى كتب بها عن العربية إلا فى أمور يسيرة فلهجته أقرب من النقشين السابقين إلى العربية الباقية .

٤ — نقش أم الجمال

اكتشف هذا النقش فى قرية « أم الجمال » وهى قرية كبيرة فى الجنوب من بصرى بالقرب من عمان .

ولقد اكتشفه ليتمان فى عام ١٩٠٥ م ومكث يدرسه مع غيره من العلماء ثم نشر نتيجة دراسته فى مجلة الساميات فى عام ١٩٢٩ م .

ويرى ليتمان أن هذا النقش يرجع إلى أوائل القرن السادس الميلادى ويلاحظ أن السطر الأخير منه مكسور .

وفيما يلى نص القراءة التى قرأها ليتمان لهذا النقش :

١ — الله غفر لأليه .

٢ — بنى عبيدة كاتب .

٣ — الخبير أعلى بنى .

٤ — عمرى صلو عليه منى .

٥ — يقـــرؤه .

ويذهب ليمان أن معناه : « يارب اغفر لآليه بن عبيدة الكاتب الخبير أشرف بنى عمرو ادع له أيها القارىء » .

هذه هى النقوش العربية المبكرة وليس يخاف عليك بعد هذا العرض الموجز أن النقوش السبئية تختلف عن نقوش العربية البائدة والتى عرفت باسم النقوش الثمودية والصفوية واللحيانية وكلا النوعين يختلف عن نقوش العربية المبكرة سالفة الذكر .

(ب) العـربية الباقيـة

وهى التى ينصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها والتى لا تزال تستخدم عند الأمة العربية لغة أدب وكتابة وانتشرت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز ثم انتشرت فى كثير من المناطق التى كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية .

طفولتهـا :

لا يعلم شىء عن طفولة هذه اللغة إذ لم يعثر للآن على آثار منقوشة أو مكتوبة فى مواطنها الأولى بنجد والحجاز لتفصح لنا عن حالتها الأولى ، وما كانت عليه من سعة أو ضيق بل حين نفكر فى حال هذه

اللغة قبل ظهور المسيحية مثلا نجد أنفسنا فى ظلام دامس وذلك راجع إلى أنه ليس بين أيدينا كما قلت نصوص عربية ترجع إلى تلك الحقبة من الزمن .

إذ أقدم ما عثر عليه من نصوصها لا يكاد يتعدى القرن الثالث الميلادى .

وليس معنى هذا أن اللغة العربية أحدث من أخواتها السامية أو أنها لم توجد قبل المسيحية . بل يؤكد لنا المستشرقون أن اللغة العربية المألوفة لنا والمعروفة لدينا ، والممثلة أصدق تمثيل فى الأدب الجاهلى والقرآن الكريم ، احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأولى أو السامية الأصلية أكثر عن أخواتها السامية الأخرى إذ فيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل وصيغ بكثيرة لجموع التكسير وغير ذلك من الظواهر اللغوية الكثيرة والتى احتفظت بها العربية دون ما عداها من أخواتها السامية والتى يؤكد لنا الباحثون اللغويون أنها منحدرة من اللغة السامية الأم ، مما يؤكد لنا أن لغة كاللغة العربية قد مرت بمراحل التطور والتغير أكثر من المراحل التى مرت بها لغتنا العربية .

وأما ندرة النصوص العربية التى يمكن أن ترجع إلى ما قبل ظهور المسيحية هو شيوع الأمية فى شبه الجزيرة العربية .

ومع ذلك يصر المستشرقون أن كثيرا من النقوش التى عثر عليها فى شمال الجزيرة العربية يمثل اللغة العربية قبل المرحلة التى تشملها نصوص الأدب الجاهلى .

ونرى أنه لا مانع من أن نهتدى بهذه النقوش ولغتها حتى يمكن

إلقاء الضوء على تلك المرحلة المظلمة فى هذا العصر مع الاحتراس وعدم الانسياق وراء المستشرقين إلا إذا كشف لنا ما يرجح كفتهم فى هذا الموضوع الدقيق .

ومن هنا يتضح لنا أن الأدب الجاهلى لا يعتبر الامتداد الطبيعى لهذه الفترة بل هناك مرحلة لم نصل إليها بعد .

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المجال أن الوحدة اللغوية التى صادفها الإسلام حين ظهوره وقواها القرآن الكريم بعد نزوله لا تنفى ظاهرة تعدد اللهجات عمليا قبل الإسلام وبقاءها بعده ، بل من المؤكد أن عامة العرب لم يكونوا يعبرون بلهجاتهم الخاصة وتظهر على تعابيرهم صفات لهجات وخصائص ألحانهم .

صراع لهجات العربية الباقية

وسيادة لهجة قريش

لم يكن المتكلمون بالعربية الباقية طائفة واحدة رغم انتسابهم إلى العرب ولكنهم كانوا قبائل كثيرة متفرقة فى أنحاء الجزيرة العربية ، تختلف كل منها عما عداها فى البيئة الجغرافية وما يكتنفها من ظروف طبيعية واجتماعية وما تمتاز به فى نواحى التفكير والوجدان وما أتيح لكل منها من سبل الثقافة والمعرفة .

ومن المعلوم أن اللغات إذا انتشرت فى مساحة كبيرة من الأرض واستعملتها طوائف من الناس ذات أنماط مختلفة استحال عليها حينئذ الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا حتى تصبح لهجات عدة تختلف

كل منها عن الاخرى فى كثير من مظاهر الأصوات والدلالة والقواعد والمفردات .

والعربية الباقية والتى نحن بصدد الحديث عنها ينطبق عليها هذا القانون العام كما ينطبق على غيرها ، فقد انشعبت منذ أقدم عصور التاريخ إلى لهجات متنوعة يختلف كل منها عن الأخرى فى المظاهر الصوتية والقواعد والمفردات — والدلالة وما إلى ذلك .

وأصبحت كل قبيلة متحدة فى الظروف الاجتماعية والطبيعية تختص بلهجة من هذه اللهجات وأضحت تعرف بها وتنسب إليها مميزاتها وصفاتها

وقد تتيح لهذه اللهجات المختلفة فرص كبيرة للاحتكاك لتبادل المنافع من تجارة وغيرها فاجتمعت فى الأسواق واتصلت عند شن الغارات والحروب ، فهذه أوجدت سبيلا لتصارع اللهجات فباد الضعيف وانتشر القوى وما زالت اللهجات تتصارع على مر الايام وتوالى السنين حتى كتب للقرشية التغلب آخر الأمر فطغت على جميع اللهجات الأخرى فى المحادثة واستأثرت بميادين الأدب شعرا ونثرا وخطابة فى مختلف القبائل العربية فأصبح العربى أيا كانت قبيلته يؤلف نثره وخطابته وينظم شعره بلهجة قريش لأسباب هيأت لها سبيل النصر أهمها :

١ — السلطان الدينى :

فقد كان لقريش مكانة دينية ممتازة لقيامهم بسدانة البيت الحرام والذى يفد إليه معظم القبائل لتقديم قرابتهم وتقديس آلهتهم وشهود منافع لهم فكان لقريش بذلك السلطان الدينى على بقية القبائل العربية.

٢ — السلطان الاقتصادى :

فقد كان لقريش بجانب السلطان الدينى سلطان إقتصادى كبير إذ كان زمام التجارة بأيديهم فكانوا يجلبون البضائع من الشام صيفا واليمن شتاء ويوزعونها على القبائل العربية الاخرى فأصبحوا بذلك قبلة أنظار العرب جميعا وبفضل هذا النشاط التجارى أصبح زمام الثروة فى أيديهم ومصداقا لهذا كله قوله سبحانه وتعالى : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

٣ — السلطان السياسى :

وهذا النفوذ نتيجة طبيعية للعاملين السابقين الدينى والاقتصادى وأيضا لموقع بلادهم وما كانت تمتاز به من حضارة وعلم فأصبح لهم نفوذ عند العرب جميعا، ويرشدنا إلى ذلك ماقاله أبو بكر رضى الله عنه فى رده على الأنصار الذين طمعوا فى الخلافة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش فلا تنفسوا على اخوانكم ما حباهم الله به من فضله » .

٤ — السلطان اللغوى :

إن القرشيين لم يقفوا حجر عثرة فى سبيل تقدم لغتهم بل عملوا على نموها فأضافوا إليها ماتحتاج فى مسيس الحاجة إليه وما رأوه أخف على أسماعهم وأيسر على ألسنتهم ، لهذا كله كانت لهجة قريش أوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة وأرقها أسلوبا وأدناها إلى الكمال وأقدرها على التعبير فى فنون القول المختلفة .

وقد تم لها ذلك بفضل ما أتيح لأهلها من وسائل الثقافة والنهوض وما أتيح لها من فرص كبيرة للاحتكاك بمختلف اللهجات العربية وما انتقل إليها من هذه اللهجات من عناصر زادت ثروة واكملت النقص الذى كان موجودا بها .

فهذه العوامل مجتمعة هيأت للقرشية سبيل الفوز والغلبة ومكنتها من أن تصبح لغة العرب جميعا بفضل ما كان لها من تفوق على أخواتها إذ كانت أكثرها ثروة وأغزرها مادة وأوسعها ثقافة وأقدرها على التعبير عن فنون القول المختلفة ، وليس فى تغلب اللغة القرشية أو اللهجة القرشية إذن ظاهرة فذة فى تاريخ اللغات أو يرجع ذلك إلى ارهاص أو اعجاز بل إن هذه ظاهرة عامة فى كل لغات بنى الانسان .

الأمور التى استفادتها القرشية من هذا الصراع :

لقد استفادت القرشية من صراعها مع اللهجات الأخرى أمورا كثيرة أهمها :

١ — استفادت كثيرا من المفردات والأساليب ولا سيما النواحى التى كانت تنقصها فتنوعت فنون القول وتمكنت من التعبير عن جميع الأغراض المختلفة وقد عنيت بالترادف والمشترك والتضاد وغير ذلك من الظواهر التى كانت سببا فى نمو اللغة وسعتها .

٢ — أصبحت اللغة القومية للعرب جميعا بلا استثناء وهذا راجع إلى أن اللغات إذا تصارعت نتيجة احتكاكها ببعضها وكتب لإحداها الفوز والغلبة اتجه الجميع إلى التكلم بها ولذلك أصبحت القرشية لغة الشعراء فى أشعارهم والخطباء فى خطبهم لأنه لكى يؤدى الخطيب رسالته

كاملة واضحة ويترك سامعيه مشدوهين معجبين بقوله ولباقته كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات المحلية التى تتصل بلهجة من اللهجات وأن يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها وألفوها جميعاً ، هى اللغة الأدبية النموذجية والمتمثلة فى لغة قريش ولهجتها .

كذلك كان لابد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة أو عجعجة أو كشكشة لينال إعجاب سامعيه ولا يكونون فى موضع سخريتهم وهزئهم وإلا فكيف كان من الممكن تفضيل شاعر على شاعر آخر فى المناظرات التى كانت تعقد بين الشعراء إذا كانت اللغة وأداة القول متفاوته ، ولذلك كانت اللغة موحدة إلا فى القليل النادر وهو الذى كان عليه الاعتماد فى التعرف على اللهجات المختلفة .

٣ — نزول القرآن الكريم :

فقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم للعرب خاصة وللأمم عامة فلذلك أنزل الله كتابه الكريم باللغة القويمة السائدة عند العرب وهى لغة قريش وقد أكسبها كثيرا من الألفاظ الإسلامية كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، بمعانيها الشرعية .

٤ — تقوية سلطانها :

فقد كان لنزول القرآن الكريم وهو مصدر عبادتهم ومنهل شريعتهم أثر كبير فى تقوية سلطانها ، لأن العرب وقد دخلوا هذا الدين الحنيف لابد أن ينظروا إلى هذه اللغة التى نزل بها كتاب الله نظرة رعاية واهتمام فتوطدت أركانها وثبتت دعائمها .

مميزات اللغة العربية وخصائصها

اللغة العربية أرقى اللغات السامية كما يقرر ذلك دارسو تلك اللغات فلا تعادلها اللغة الأرامية والعبرية ولا غيرهما من هذا الفرع السامى .

وهى كذلك من أرقى لغات العالم فهى تمتاز حتى عن اللغات الهندية الأوربية بكثرة مرونتها وسعة اشتقاقها ، فإذا قيس ما يشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة لكل صيغة دلالة على معنى خاص بما يقابلها من كلمة أجنبية وما يشتق منها كانت اللغة العربية فى ذلك أوفر وأغنى .

وذلك يرجع إلى أن اللغة العربية توافر لها عاملان لم يتوافرا لغيرها من اللغات السامية هما :

١ — أنها نشأت فى أقدم موطن للسامية وهو شبه الجزيرة العربية .

٢ — تهيأ لها الموقع الجغرافى الذى ساعدها على البقاء فترة طويلة من الزمن متمتعة بالاستقلال والعزلة ، مما كان له أكبر الأثر فى احتفاظها بأكبر قدر من مقومات اللسان السامى الأول ، مما جعلها تمتاز عن غيرها بمميزات صوتية ومعجمية وصرفية ونحوية .

المميزات الصوتية والمعجمية :

فاللغة العربية أكثر اللغات السامية احتفاظا بالأصوات السامية فهى تشمل جميع الأصوات التى اشتملت عليها اللغات السامية الأخرى وزادت عليها أصواتا لم توجد فى غيرها مثل الثاء والذال والظاء والغين والضاد .

واختصت اللغة العربية بأنها أوسع من غيرها فى أصول المفردات

فهى تشمل جميع الأصول الموجودة فى اللغات السامية الأخرى وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامى الأول .

هذا إلى جانب أنه قد تجمّع لها من المفردات فى مختلف أنواع الكلم الاسم والفعل والحرف مالم يتجمّع مثله لغة سامية أخرى بل يندر وجوده فى لغة من لغات العالم أجمع ففيها للأسد خمسمائة اسم ، وقد جمع الأستاذ دوهامر المفردات العربية المتصلة بالجمل ومايتعلق به فبلغت خمسة آلاف وستمائة وأربعة وأربعون كلمة ، وبها أربعمائة اسم للداهيه .

وألف فيروزبادى . صاحب القاموس المحيط كتيباً فى أسماء العسل جمع فيه ثمانين اسما للعسل وذكر أنه مع ذلك لم يستوعب جميع أسمائه ، وألف كتابا آخر اسمه الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف .

المميزات الصرفية :

اختصت اللغة العربية بخصائص صرفية منها :

أن الأصل الواحد قد يتوارد عليه عدة معان بواسطة التغيير فى بعض الحركات أو زيادة بعض الحروف أو نقصها وأن ذلك يجرى وفق قواعد مضبوطة .

فمثلا أخذوا من الضرب ضرب ويضرب وأضرب وضارب ومضروب ، وسموا آلة الضرب مضربا ومضرابا ، وقالوا ضاربه أي جالده ، واضطرب الشيء تحرك وماج ، وحديث مضطرب ، والضريبة ما ضربته بالسيف ، وضاربه فى المال من المضاربة ، وهى معروفة .

هذا كله إلى جانب المعانى المجازية التى يستعملون فيها الكلمة فيقولون ضرب الدراهم والدنانير أى صكها واضطرب خاتما من ذهب أى أمر

أن يصاغ له وضرب فى الأرض إذا سار فيها مسافرا ، وضرب فى سبيل الله نهض ، وضرب على يده كفه عن الشيء ومنعه ، وأضرب عن العمل كف ، وأضرب البرد النبات ضربه إذا اشتد عليه البرد حتى يبس ، وضرب المثل ذكره وقوله ، وغير ذلك الكثير والكثير مما يدل دلالة واضحة على غنى اللغة العربية فى الاشتقاق — والمجاز قل أن تجاريها لغة أخرى فى هذا الشأن .

وكذلك تمتاز اللغة العربية بنظام جمع التكسير الذى لا تشاركها فيه إلا أختاها اليمنية القديمة والحبشية ومع مشاركتها فقد توسعت اللغة العربية فى استخدامه توسعا كبيرا حتى أصبح للفرد الواحد عدة جموع .

المميزات النحوية :

اختصت اللغة العربية بأنها أوسع اللغات السامية وأدقها فى القواعد النحوية واختصت بقوانين الاعراب التى تراعى عند تأليف الجمل وربط بعضها ببعض واختلاف أواخر كلمها تبعا لاختلاف العوامل مما لا يوجد له نظير فى دقته وسعته فى اللغات السامية الأخرى اللهم إلا بعض الآثار الضئيلة فى اللغة العبرية والارامية والحبشية وبخاصة اللغة الحبشية الجعزية والحبشية الأمهرية ، ولكنها آثار ضئيلة لا تذكر . بجانب قواعد الاعراب الموجودة فى اللغة العربية .

وكذلك تمتاز اللغة العربية بما لديها من طرق متعددة فى القلب والإبدال والنحت وغير ذلك الكثير والكثير مما كان له أكبر الأثر فى مرونتها وسعتها ودقتها فى التعبير فى مختلف فنون القول ، فهذه المرونة

العامة وهذا الاشتقاق والمجاز والقلب والابدال والنحت هو الذى جعل اللغة العربية تستطيع أن تكون لغة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وما فيهما من معان فى منتهى السمو والرفعة والكمال وما فيهما من تعبيرات دينية واجتماعية وتشريعية لا عهد للعرب بها فى جاهليتهم كما استطاعت بعد أن تكون أداة لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم .

وفى نحو ثمانين سنة من بدء العهد العباسى كانت خلاصة كل هذه الثقافات مدونة باللغة العربية .

المرجعة وأثرها فى العربية

واجه العرب فى العصر العباسى صعوبة شديدة فى نقل الذخيرة العلمية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية بل وفى وضع مصطلحات لعلومها كالنحو والفقه أضف إلى ذلك اتساع رقعة الدولة الاسلامية ، واختلاف أقاليمها ولكل إقليم حيوانات ونباتات لم تكن تعرفها العرب ، وعلاوة على ذلك جدت نظم اجتماعية تبعا لذلك فقد أنشئت دواوين لم توجد فى العصر الأموى .

واجه العرب ذلك فماذا يصنعون أمام هذا التيار الجارف أتنطق العرب هذه الأسماء كما ينطقها أهلها ؟ وفى هذا إهدار للشخصية العربية أو يضعون لها أسماء عربية من عندها ؟ وفى تعميم هذا صعوبة بالغة .

ولكن — كما سبق أن بينت فى المبحث السابق — مرونة اللغة العربية وسعتها وما لديها من طرق للتعبير متعددة تغلبت على ذلك كله فى دقة ومهارة وبذلك خرجت من هذا الامتحان أكثر مرونة وأكثر

ثروة ويضخم بذلك معجمها اللغوى من طريقين :

١ — التوسع فى مدلول الكلمات العربية وهو الأكثر فالعربى لم يعرف الفاعل والمفعول بالمعنى الذى يفهمه النحوى وكذلك لا يعرف القضية ولا الموضوع — والمحمول بالمعنى الذى يعرفه المنطقى ، ولا يعرف الطويل والخفيف والمديد بالمعنى الذى يفهمه العروضى ، وكان علماء اللغة يعملون جهدهم فى الأخذ عن الأعراب ويجتهدون فى وضع الصيغة التى يفهما الأعرابى .

بهذا كثرت المعانى العربية ، وقد سد هذا الباب أكثر الحاجات العلمية فإننا نقرأ النحو والصرف والفقه فلا نجد فيها لفظا أجنبياً بل أكثر من ذلك نقرأ المنطق كله وهو يونانى الأصل فلا نكاد نجد فيه كلمة أجنبية إلا كلمات قليلة جدا مثل سفسطة .

٢ — الطريق الثانى : نقل الكلمات الأعجمية نفسها إلى العربية وأكثر ما كان ذلك فى أسماء البلدان والنباتات والحيوانات والآلات والأمراض والمآكل التى لم يكونوا يعرفونها من قبل ولم يسيروا فى ذلك على نهج واحد بل سلكوا مسالك متفاوتة طوعا لألسنتهم .

يقول الجواليقى فى هذا الصدد : « إن العرب كثيرا ما يحترثون على الأسماء الأعجمية فيغيرونها بالإبدال قالوا : إسماعيل وأصله إشماعيل فأبدلوا لقرب المخرج وقد يبدلون مع البعد فى المخرج وقد ينقلونها إلى أبنيتهم ويزيدون وينقصون منها على أية حال فإنك لو قارنا بين أصل الكلمات الأعجمية وملعربة بعد لوجدنا أن العرب لم يسيروا وفق قوانين

ثابتة فى ذلك : طورا يبدلون الثاء تاء وطورا يبقونها ، وطورا يبدلون الشين سينا وطورا يبقونها .

خرجت اللغة العربية من هذا المأزق سليمة قوية واسعة وهى لغة العلم ولغة الأدب ، واضمحلت بجانبها كل لغات البلاد الأصلية المفتوحة ، فالفرس فى ذلك العصر أصبحت اللغة العربية عندهم لغة العلم والأدب وألفوا بها وكتبوا بها وأصبحت الفارسية عندهم لغة التكلم العادى ، وفى الأوساط المجوسية .

واللغة السريانية والتى ترجمت إليها الكتب اليونانية أخذت تتدهور بعد أن نقل ما بها إلى العربية وكذلك كان الحال للغات الأخرى من رومانية وقبطية فى الشام ومصر .

وعلى أية حال فلئن أغنى الاعجم اللغة العربية فلقد أفسدوا لغة المحادثة بما أدخلوا من لحن وتحريف حيث كانت الجزيرة العربية سليمة اللغة قبل الفتوحات الإسلامية وقبل دخول الأعاجم الإسلام ثم بدأ اللحن يفشو فى الألسنة وأخذ يتسع نطاقه إلى أن أدى إلى تكوين لغتين : لغة الكتابة والخطابة والأعراب الفصحاء ومن جرى مجراهم ، ولغة أخرى يسميها الجاحظ لغة المولدين والبلديين ، وهى ما تسمى باللغة الدارجة أو العامية والتى تعددت اليوم وتنوعت بتعدد الشعوب الناطقة باللغة العربية وهو أمر بالغ الخطورة إذا ترك وشأنه ينمو فى الألسنة والأفواه دون تقويم وتصحيح .

لذا يجدر بنا أن نعمل جاهدين على القضاء على الازدواجية فى التكلم وذلك بالقضاء على العاميات فى مختلف أقطار العالم الإسلامى .

والعمل على نشر العربية الفصحى لغة القرآن الكريم فى سائر بلدان العالم الإسلامى .

ومما يسهل علينا ذلك أنها لغة الدين لغة الإسلام لغة القرآن الكريم لغة الدعوة لهذا الدين والتى تهفو إليها كل القلوب المؤمنة المسلمة.

كما يجدر بسائر حكومات العالم الإسلامى وأولى الأمر فى هذه البلدان أن يولوا ذلك الأمر من العناية والاهتمام ما يجعله حقيقة واقعة وأملا يتحقق حتى نعيد للإسلام ولغته مجدهما وعزهما ولله العزة ولرسوله والمؤمنين .

الفصل الخامس

الأبجـــدية العربية

نشأتها وتطورها

يذكر التاريخ أن المصريين عرفوا الأبجدية وعنهم أخذها الفينيقيون فعدلوها ثم عن الفينيقيين أخذها الأراميون وعن الأراميين أخذ اليمنيون أصحاب الخط المسند بوساطة كاتب الوحى لهود عليه السلام ولكن اليمنيين أضافوا إلى الأبجدية الأرامية الأحرف الستة المعروفة بالروادف وهى ثخذضظغ وعن اليمنيين أخذ السكنديون والأنباط وعن هؤلاء تعلم أهل الحيرة وأهل الأنبار الذين عنهم أخذ الحجازيون .

والخط الكوفى هو أصلا الخط المسند بعد أن زخرفه أهل الكوفة . ولكى يستقر هذا لديك عليك أن تعرف أنه فى العصور القديمة السابقة للقرن الخامس عشر قبل الميلاد كان فى العالم الشرقى ثلاثة أنظمة أبجدية .

الأول : النظام المصرى وهو نظام يجمع بين الصور والخطوط المستقيمة أو المنحنية .

الثانى : النظام البابلى الأشورى وهو نظام الخط المسمارى .

الثالث : نظام الحروف التى يتكون كل منها من خطوط فقط مستقيمة أو منحنية . أو مقتطعة ولم يلبث النظامان الأول والثانى أن انقرضا بعد ظهور النظام الثالث وانتشاره حوالى القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

ويرجع الفضل بعد الله سبحانه وتعالى إلى الشعوب السامية فى أنهم هجروا النظامين القديمين المعقدين ووضعوا النظام الأبجدى الذى يقضى بأن يكون لكل صوت حرف واحد وبذلك توصلوا فى وضع الحروف الأبجدية المبسطة إلى أقصى حد واتخاذها وسيلة لتدوين الأفكار والمعانى ، ومن المرجح أن المبتكر للأبجدية العالمية الأصلية هو شعب من بين الشعوب السامية التى كانت على اتصال بالمصريين بين سنتى ٢٥٠٠ : ١٥٠٠ قبل الميلاد ، وقد اقتبست هذه الأبجدية العالمية من الخط المصرى فى مرحلته الاخيرة فى مصر نفسها أو فى مكان قريب منها يظن أنه شبه جزيرة سيناء وقد تطور هذا الابتكار وهذا النظام ولحقه شىء من التغيير على أيدى الفينيقيين وبلغ غاية الكمال على سواحل فينيقيا وهى السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط وهو ما يسمى بالابجدية الفينيقية التى تفرعت منها جميع الابجديات المنتشرة فى نصف الكرة الغربى وتدل أسماء الحروف الأبجدية فى معظم اللغات السامية على أنها مستنبطة من الأبجدية الفينيقية ل التى كان نظامها ابجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت وأول من تولد من هذه الأبجدية الخط الآرامى لأن الأراميين خالطوا الفينيقيين وأخذوا عنهم هذا الخط ومن الأراميين أخذ النبط خطهم ولقد خالط النبط اليمنيين وعنهم أخذ اليمنيون هذا الخط وأدخلوا عليه بعض التعديلات وأضافوا عليه الأحرف الستة المعروفة بالروادف وهى التى سبق أن أشرت إليها فى بداية حديثى .

ولقد تولد من الخط الفينيقى بطريق مباشر الخط اليونانى القديم والغربى القديم وقد سمى الخط الشبئ بالخط المسند لأنه يستند إلى أحجمة وهو

مما سبق يتبين لنا أن الابجدية السبئية أحدث الابجديات وأكملها وهى المرحلة التى نشأت عن طريقها الابجدية العربية وهى أكمل الابجديات بعد إضافة الحروف الستة المعروفة بالروادف وتشتمل على ثمانية وعشرين حرفا هى حروف ابجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت بالإضافة إلى حروف ثخذ ضظغ ، وقد استمر ترتيبها على هذا النحو إلى أن أوعز الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق فى عهد عبد الملك ابن مروان من ٦٥ : ٨٦ هـ إلى نصر بن عاصم الليثى ويحيى بن يعمر العدوانى تلميذى أبى الأسود الدؤلى بوضع نظام الأعجام أى تمييز الحروف بعضها عن بعض بالنقط وكان قد نسى ففصلا ذلك ثم رتبا الحروف بحسب تشابهها فى الصورة على النحو المعروف لنا الآن .

وفى عهد الدولة العباسية تم وضع نظام الشكل أى ضبط الحروف بالحركات كما هو معروف الآن على يد الخليل بن أحمد الفراهيدى ١٠٠ : ١٧٥ هـ .

الضبط بالشكل فى الكتابة العربية

الخط العربى الذى بيناه سابقا لم يكن مضبوطا بالحركات والسكنات بل كان خاليا تماما مما يدل على أشكال الحروف المكتوبة فاذا كتب مثلا كلمة حمل فلا يعرف أهى فعل أم اسم وإذا كانت فعلا فلا يعرف أمبنية للمعلوم أو مبنية للمجهول . وإذا كانت اسما فلا ندرى أمعناه الصغير من الضأن أم هى الحمل الذى يحمل على ظهر الدابه .

ومع هذا فلقد كان العرب يقرءون كل ما يكتب قراءة صحيحة

معتمدين فى ذلك على سياق الكلام ولا يلجئون فى شيء مما قرءوه لتعودهم على النطق السليم الصحيح ويرجع ذلك إلى ملكة الإعراب التى كانت سليقة فى العرب قبل وضع علم النحو .

وقيل إن أول كتاب بالخط العربى المقتبس من الخط المسند فى الاسلام هو القرآن الكريم وكان هو أيضا غير منقوط ولا مشكول وقد كتب على هذا النحو بأمر من سيدنا عثمان رضى الله عنه فى عهد خلافته . فمكث الناس على هذا النحو بأن يقرءوا القرآن الكريم نيفا وأربعين سنة قراءة صحيحة لا تصحيف فيها ولا تحريف معتمدين على سليقتهم العربية أو على الرواية والتلقين ولكن لما انتشر الاسلام واختلط العرب بالعجم ودخل الناس فى دين الله أفواجا فسدت الألسنة وضاعت ملكة الاعراب نظرا لأن الدين الجديد دخله أناس ليسوا بعرب وليست لديهم السليقة العربية السليمة .

حتى قيل إن ابنة أبى الأسود الدؤلى نظرت إلى السماء فى ليلة شديدة الصحو وقالت : ما أحسن السماء بضم النون فقال لها أبوها : نجومها فقالت : أريد التعجب فقال : كان عليك أن تقولى . ما أحسن السماء بالفتح وتفتحى فاك .

وذكر أبو الأسود الدؤلى ذلك لعلى كرم الله وجهه . فعلمه أبوابا من النحو منها باب إن وباب الإضافة وباب الأمالة . ثم قال : انح هذا النحو يا أبا الأسود .

فاشتغل أبو الأسود بوضع أبواب أخرى فى النحو زيادة على [illegible]

ما عرفه من الإمام على منها باب العطف وباب النعت وباب التعجب وباب الاستفهام .

وأصبح أبو الأسود بعد ذلك من علماء العربية وتوافد إليه طلاب هذا اللون من المعرفة لأخذ عنه فتتلمذ عليه عنبسة الفيل وعبد الرحمن ابن هرمز الأعرج وميمون الأقرن ويحيى بن يعمر العدوانى ، ونصر بن عاصم الليثى وعبدالله بن اسحق الحضرمى وعطاء بن أبى الأسود ، وقد برعوا فى علم النحو وعلم القراءات والأدب حتى صاروا أئمة فى علوم العربية .

غير أن هذا العمل لم يمنع فساد الألسنة لاختلاط الناس بالعجم .

وطلب زياد بن سمية وكان واليا على البصرة من أبى الأسود أن يضع طريقة لإصلاح الألسنة وقال له فيما قال : إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت ألسنة العرب فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله ، فأبى أبو الأسود فى أول الأمر لأنه كان من جهة ضنينا بما تلقاه من على بن أبى طالب ومن جهة أخرى ، كان نشاطه قد ضعف بسبب عزله عن ولاية البصرة بعد قتل على وصارت الخلافة بعد ذلك إلى الأمويين أعدائه السياسيين فدبر زياد حيلة وكان من دهاة العرب فقال لرجل من اتباعه اقعد فى طريق أبى الأسود واقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فذهب الرجل وقعد فى طريق أبى الأسود فلما اقترب منه رفع صوته بالقراءة وكأنه لا يقصد إسماع أبى الأسود وقال « إن الله برىء من المشركين ورسوله » بكسر اللام فأعظم ذلك أبو الأسود فقال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ثم رجع من فوره إلى زياد وقال له : قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ

باعراب القرآن الكريم وطلب منه كاتبا فأرسل إليه زياد ثلاثين كاتبا فاختار واحدا من عبد القيس وقال له : خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد (أى مداد الصحف) فاذا رأيتنى فتحت شفتى بالحرف فانقطه واحدة من فوقه وإذا كسرتها فانقطه واحدة من أسفله وإذا ضممتها فاجعل النقطة بين يديه (أمامه) الحرف فاذا اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة أى تنوينا فانقط نقطتين .

وأخذ أبو الأسود يقرأ القرآن بالتأنى والكاتب يضع النقط وكلما أتم الكاتب صحيفة أعاد أبو الأسود نظره عليها واستمر على ذلك حتى أعرب المصحف كله وكانوا يسمون هذا النقط شكلا لأنه يدل على شكل الحرف أو صورته .

اتبع الناس فى عهد بنى أمية هذا الإصلاح الذى أدخله أبو الأسود فيما يختص بالشكل واتبعوا الإصلاح الثانى الذى أدخله نصر بن عاصم الليثى ويحيى بن يعمر العدوانى تلميذى أبى الأسود فيما يختص باعجام الحروف ، وترتيبها كما سبق بيان ذلك .

وأما فى عهد العباسيين فلقد مال الناس إلى أن يجعلوا الشكل بالمداد نفسه الذى يكتب به تسهيلا للأمر لأنه لا يتيسر للكاتب فى كل وقت أن يجد لونين من المداد أحدهما للكتابة والآخر للشكل فوقف فى سبيلهم اختلاط الشكل بالاعجام لأن كلا منهما يتم بالنقط ورأوا أنه لا بد من إصلاح ثالث إما بتغيير طريقة الشكل وإما بتغيير طريقة الإعجام .

وعنى الخليل بن أحمد بهذا الأمر وكان أوسع الناس علما بالعربية فوضع طريقة أخرى للشكل وهى التى عليها الناس الآن وذلك بأنه جعل

للفتحة ألفا صغيرة مضطجعة فوق وللكسرة رأس ياء صغيرة تحته وللضمه واوا صغيرة فوقه فاذا كان الحرف المحرك منونا كرر الحرف الصغير فكتب مرتين فوق الحرف أو تحته ووضع للتشديد رأس شين بغير نقط هكذا (ـّ) وللسكون رأس خاء بلا نقط (ـْ) وللهمزة رأس عين (ء) ولألف الوصل رأس (ص) توضع فوق ألف الوصل والمد الواجب مبا صغيرة مع جزء من الدال هكذا (مد) والذى تطور وأصبح له (~) فتكون جملة العلامات التى وضعها الخليل ثمانى علامات

ولقد تطور هذا النظام على يد أتباع الخليل حيث أدخلوا عليه بعض التعديلات على هذه العلامات حتى صارت كما هى الآن .

وأجازوا فى الحالتين أن تكتبا على الاصل هكذا " أو توضع الثانية على الاولى هكذا " وأن توضع كسرة الحرف المشدد تحت الشدة فوق الحرف أو تبقى تحت الحرف مع وجود الشدة فوق الحرف.

وفى الهمزة المكسورة أجازوا وضع الهمزة مع كسرتها تحت الالف أو وضع الهمزة فوق الالف والكسرة تحت .

الابجدية وعلاقتها بالدراسة الصوتية عند العرب

مما سبق يتبين لنا أن نظام الكتابة فى العربية جاء نظاما مثاليا من حيث وضع رمز و حد مستقل لكل وحدة صوتية فللباء رمز وللتاء رمز وللثاء رمز وللجيم رمز .. الخ وهذا النظام يتمشى مع أحدث منهج فى التفكير الصوتى والذى يرمى إلى وضع نظام للكتابة خاليا من الاضطراب والتعقيد ، بحيث يكون لكل صوت رمز واحد . وكما سبق أن بينا نظام الابجدية العربية مكون من ثمانية وعشرين صوتا خصص لكل صوت رمز معين لا يتعداه .

وكذلك يقال فى نظام الشكل أى الحركات القصيرة فللفتحة رمز وللكسرة رمز ... الخ ماسبق بيانه .

فهذا النهج السليم قد خلص الكتابة العربية من الاضطراب والخلط الذى يلاحظ فى أبجدية بعض اللغات الأخرى .

ونجد أيضا أن نظام الأبجدية العربية يدلنا على مقدرة فائقة على التمييز بين الحروف المتشابهة كالسين والصاد والثاء والذال فالفرق بين السين والصاد أن الأولى مرققة والصاد مفخمة والفرق بين الثاء والذال أن الثاء مهموسة والذال مجهورة .

فالأبجدية العربية ميزت بين هذه الأصوات رغم التشابه الكبير بينها كما بينا .

ولا يقال إن الأبجدية العربية هذه أبجدية سامية ليس للعرب فيها فضل وعلى فرض التسليم بهذا فلقد ظهر لنا خلال عرضنا لنشأة هذه الأبجدية وتطورها أن للعرب فى هذه الأبجدية جهودا خاصة تدل على فهم وتذوق للأصوات وهذه الجهود تمثلت فى وضع حروف الروادف التى أشرنا إليها وهى تخذ ضظغ وهى رموز احتاجتها اللغة العربية وكذلك نظام الشكل الذى أدخله علماء العربية . وقد سبق بيان ذلك ورموز الشكل وعلامتها هذه ما كانت توضع إلا بناء على تفكير صوتى وتذوق لقيم الأصوات وكان هذا الوضع بداية لطريق طويل ممتع فى دراسة الأصوات عند هؤلاء القوم حيث كانت الدراسة الصوتية عند العرب هى أجود العمل اللغوى عندهم من حيث منهج التفكير وطرق الدراسة . فلقد كان أسلوبهم فى هذا المجال أسلوبا صحيحا يتمشى مع طبيعة المادة

فلقد اتبعوا الملاحظة الذاتية وابتعدوا عن التأويلات والافتراضات التى ملأت النحو والصرف وغيرهما .

ونعنى بالملاحظة الذاتية التى نهجوها فى الدراسة الصوتية استخلاص الحقائق وتصنيفها ووضع القواعد الخاصة بها عن طريق التجربة الشخصية أو الانطباع الذهنى الناتج عن هذه التجربة ففى هذه الحالة التى معنا وهى حالة الأصوات تكون الملاحظة الذاتية بتذوق الأصوات ومحاولة نطقها فعلياً واقعياً وهذا المنهج فى دراسة الأصوات نهج سليم وصحيح ، ولم تزل الدراسات الصوتية الحديثة مع ما جد من معامل وآلات للأصوات تعد الملاحظة الذاتية بطريق النطق الفعلى والاستماع إلى هذا النطق الأداة الأساسية فى البحث الصوتى على كل مراحله وجميع مستوياته .

ولقد كان معظم ما قاموا به من ذلك النوع الذى يدخل فى إطار الفنولوجيا أو علم وظائف الأصوات ولقد جاء هذا العمل مركزا على الوحدات الصوتية من صوامت وحركات ، وقليلا ما عرضوا للاحداث الصوتية المادية وليس معنى ما تقدم على كل حال أنهم أهملوا المادة الحقيقية للأصوات إذ من الطبيعى أنه يستحيل الوصول إلى الدرجة الثانية هذه وهى مرحلة الفنولوجيا بدون تلك الخطوة الأولى وهى النظر فى المادة الحقيقية .

وخير دليل نقدمه للتدليل على هذا هو نظام الكتابة العربية وطريقة التشكيل فيها والذى يبين لنا مقدار ما وصلوا إليه من تفوق فى هذا المضمار وحسبنا شهادة علماء الغرب على براعة العرب وتفوقهم

فى هذا المجال . يقول فيرث : « لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت فى أحضان امتين مقدستين : العربية والسنسكريتية » .

ويقول برجستراسر : « لم يسبق الأوربيين فى هذا العلم إلا قومان العرب والهنود » .

موقف ابن فارس من هذه القضية

يجدر بنا أن نعرض لرأى ابن فارس فى هذه القضية الشائكة الشائقة حتى نكون على بينة من الأمر .

عقد ابن فارس فى كتابه الصاحبى بابا بعنوان :

« باب القول على الخط العربى وأول من كتب به »[1]

يروى أن أول من كتب الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها فى طين وطبخه ، فلما أصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه ، وأصاب اسماعيل عليه السلام الكتاب العربى .

ويعلق السيوطى على هذا بقوله :

قلت : هذا الاثر أخرجه ابن أشته فى كتاب المصاحف بسنده عن كعب الاحبار .

ثم يقول ابن فارس : وكان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربى اسماعيل عليه السلام وضعه على لفظه ومنطقه .

---

(١) الصاحبى ص ١٠ تحقيق السيد أحمد صقر ونقل السيوطى هذا الباب كاملا وزاد عليه زيادات كثيرة نافعة المزهر جـ٢ ص٣٤١، ٣٤٢

ويزيد السيوطى على هذا بقوله :

قلت : هذا الاثر أخرجه ابن أشته والحاكم فى المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس ، وزاد : أنه كان موصولا حتى فرقه بين ولده : يعنى أنه وصل فيه جميع الكلمات ليس بين الحروف فرق هكذا :

بسم الله الرحمن الرحيم . ثم فرقه بين ابنيه : هميسع وقيذر ثم قال ابن فارس :

والروايات فى هذا الباب تكثر وتختلف .

ويزيد السيوطى على هذا بقوله :

قلت : ذكر العسكرى عن الأوائل فى ذلك أقوالا فقال :

أول من وضع الكتاب العربى إسماعيل عليه السلام ، وقيل : مرامر بن مرة وأسلم بن جدرة وهما من أهل الأنبار ثم يقول :

وأخرج الحافظ أبو طاهر السلفى فى الطيوريات بسنده عن الثعلبى . قال : أول العرب الذى كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس ، تعلم من أهل الحيرة ، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار .

وقال أبو بكر بن أبى داود فى كتاب المصاحف :

حدثنا عبد الله بن محمد الزهرى حدثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبى قال : سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟

قالوا : تعلمنا من أهل الحيرة . وسألنا أهل الحيرة :

من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا من أهل الأنبار .

اصل الخط

يرى ابن فارس أن الخط توقيف من الله تعالى واستدل على ذلك بأدلة من القرآن الكريم .

فيقول : والذى نقول به : إن الخط توقيف ، وذلك لظاهر قوله تعالى : « الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » وقوله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون » .

وإذا كان كذلك فليس ببعيد أن يوقف آدم عليه السلام أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب .

فأما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه فشىء لا يعلم صحته إلا من خبر صحيح .

ويؤيد السيوطى ابن فارس فى هذا الرأى ويزيد عليه بقوله : قلت يؤيد ما قاله من التوقيف ما أخرجه ابن أشتة من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أول كتاب أنزله الله من السماء أبو جاد .

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام .

ونخلص من هذا العرض الموجز لرأى عالمين جليلين من علماء الإسلام أن منشأ الكتابة وأصلها فى بادىء الأمر توقيف من الله تعالى لبنى البشر جميعا .

ثم أخذت الأجيال المتعاقبة هذه النعمة المسداة وتوارثتها وحافظت عليها وأضافت إليها أشياء بما يتلاءم واختلاف الأزمنة والأمكنة حتى

وصلت إلى ما نشاهده الآن عند مختلف الشعوب والأجناس من تعدد الأبجديات واختلاف نظم الكتابة فى العالم وقد ألممنا فى هذا الفصل الموجز لنشأة الأبجدية العربية وعلاقتها بغيرها من الأبجديات بما من الله علينا من فيضه وإحسانه .

أدعو الله سبحانه أن يوفقنا لما فيه الخير والرشاد وأن ينفع بهذا العمل المتواضع أبناء المسلمين فى سائر أرجاء العالم .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ؟

أهم المراجع

١ ـ اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب ، محب الدين الخطيب

٢ ـ أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا

٣ ـ الأصوات والإشارات ، ا . كندرانوف ترجمة شوقى جلال

٤ ـ تاريخ الأدب أو حياة اللغة ، حفنى ناصف

٥ ـ تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعى

٦ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان

٧ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ، د . جواد على

٨ ـ تاريخ اللغات السامية ، اسرائيل ويفلنسون

٩ ـ التطور النحوى للغة العربية ، برجشترسر

١٠ ـ التهذيب فى أصول التعريب ، د . أحمد عيسى

١١ ـ الخصائص ، ابن جنى

١٢ ـ دراسات فى علم اللغة ، د . كمال بشر

١٣ ـ دلالة الألفاظ ، د . إبراهيم أنيس

١٤ ـ دور الكلمة فى اللغة ، استيفن أولمان ـ ترجمة د . كمال بشر

١٥ ـ شفاء الغليل فيما ورد فى كلام العرب من الدخيل ـ شهاب الدين الخفاجى

١٦ ـ الصاحبى ، ابن فارس

١٧ ـ ضحى الإسلام ، أحمد أمين

١٨ ـ العربية ، يوهان فك ترجمة د . عبد الحليم النجار

١٩ ـ العربية معناها ومبناها ، د . تمام حسان

٢٠ ـ علم اللغة ، د . على عبد الواحد وافى

٢١ ـ علم اللغة مقدمة للقارىء العربى ، د . محمود السعران

٢٢ ـ علم اللغة ، د . محمود حجازى

٢٣ — فصول فى فقه اللغة ، د . رمضان عبد التواب
٢٤ — فقه اللغة ، الثعالبى
٢٥ — فقه اللغة ، د . على عبد الواحد وافى
٢٦ — الفلسفة اللغوية ، جرجى زيدان
٢٧ — فى اللغة والفكر ، د . عثمان أمين
٢٨ — الفهرست ، ابن النديم
٢٩ قضايا لغوية ، د . كمال بشر
٣٠ — القاموس المحيط ، الفيروزبادى
٣١ — لسان العرب ، ابن منظور
٣٢ — اللغة بين القديم والحديث ، عباس حسن
٣٣ — اللغة العربية كائن حى ، جرجى زيدان
٣٤ — اللغة والمجتمع ، د . على عبد الواحد وافى
٣٥ — محاضرات فى فقه اللغات السامية ، للمرحوم الأستاذ حامد عبدالقادر
٣٦ — محاضرات فى علم اللغة ، د . عبد الحميد أبو سكين
٣٧ — معالم اللهجات العربية ، د . عبد الحميد أبو سكين
٣٨ — المزهر ، جلال الدين السيوطى
٣٩ — مميزات لغات العرب ، حفنى ناصف
٤٠ — من أسرار اللغة ، د . إبراهيم أنيس
٤١ — مناهج البحث فى اللغة ، د . تمام حسان
٤٢ — نشأة اللغة عند الإنسان ، د . على عبد الواحد وافى

محتويات الكتاب

صفحة

مقدمة ٣

الفصل الأول

فقه اللغة

بين علم اللغة وفقه اللغة ٤

مباحث فقه اللغة ٦

مقاصد فقه اللغة ١٣

مناهج البحث فى فقه اللغة ١٥

الفصل الثانى

اللغـــة

معناها ونشأتها ٢٠

نظرية التوقيف ٢٩

نشأة اللغة عند الإنسان ٣٠

نظرية المحاكاة ٣٦

نظرية المواضعة ٣٦

نظريه الغريزة الكلامية ٣٩

النظرية الحديثة فى نشأة اللغة ٤١

الفصل الثالث

الفصائل اللغوية ٤٧

رأى ماكس مولر ٤٩

الفصيلة الحامية ٥٢

الفصيلة الطورانية ٥٤

صفحة

الفصل الرابع

اللغات السامية ٥٧
موطن الشعوب السامية ٥٩
اللغة الأكادية ٦٣
اللغة الفينيقية ٦٨
اللغة العبرية ٧١
اللغة الآرامية ٧٤
اللغات الحبشية السامية ٧٩
اللغة الأمهرية ٨٠
اللغة العربية ٨٣
مميزات اللغة العربية وخصائصها ١٠٥
الترجمة وأثرها في العربية ١٠٨

الفصل الخامس

الأبجدية العربية

نشأتها وتطورها ١١٢
نظام الكتابة العربية ١١٤
الضبط بالشكل في الكتابة العربية ١١٤
الأبجدية وعلاقتها بالدراسة الصوتية عند العرب ١١٨
موقف ابن فارس من هذه القضية ١٢١
أصل الخط ١٢٣
أهم المراجع ١٢٥
محتويات الكتاب ١٢٧

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨١/٣٥٣٨